

شُمُوسُ لَا تَغِيْبُ

* مسرحيتان للأطفال *

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: unecriv@net.sy E-mail :

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.org>

تصميم الخلافة للفنانة: نسرين هلال



تأليف: محمد بري العواني

شُمُوسٌ لَا تَغِيبُ

* مسرحيتان للأطفال *

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق - ٢٠٠١

زُرِّيَاب

مسرحية للأطفال
في تسعة مشاهد

١٩٩٩-٢٠٠٠

الإهداء

إلى ولدي راشد
موسيقياً بارعاً
وملحناً موهوباً

* الشخصيات:

- | | |
|-------------|---|
| ١ - زرياب | : الموسيقار البارِع، وهو علي بن نافع، أبو الحسن. |
| ٢ - جميلة | : راقصة وتلميذة. |
| ٣ - الغزال | : شاعر وسفير الأمير عبد الرحمن بن الحكم. |
| ٤ - إبراهيم | : |
| ٥ - منصور | : تلاميذ زرياب يتعلمون أصول العزف والغناء والرقص. |
| ٦ - سلمى | : |
| ٧ - عبادة | : رجل غني سمين - جاهل. |

- ٨ - عفراء : مغنية عبادة - سمنية جاهلة
تغني دائماً عن الطعام.
- ٩ - حمدونة : بنت زرياب - موسيقية ومغنية
بارعة.
- ١٠ - حسان : رسول الأمير عبد الرحمن.
- ١١ - ابن ناصح : طبيب - وصديق زرياب.
- ١٢ - مروان : فتى مريض، ابن أبي العباس.
- ١٣ - الأمير عبد الرحمن : أمير قرطبة.
- ١٤ - أحمد : حاجب المعهد.
- ١٥ - مجموعة تلاميذ - ذكوراً وإناثاً - يتعلمون أصول
الموسيقا في معهد زرياب في
الأندلس.

**

* إضاءات:

- ١ — هذه المسرحية موجهة للأطفال الذين أعمارهم ما بين (١٠-١٤) سنة.
- ٢ — تحتفي المسرحية بموسيقار الأندلس العظيم علي بن نافع أبي الحسن، الملقب بـ"زرياب".
والزرياب طائر أسود اللون صوته جميل. ولذلك سموا
أبا الحسن "زرياب" لسواد لونه وجمال صوته.
- ٣ — لا توجد معلومات تاريخية عن سنة ولادة "زرياب" لكنه
كان أحد موالى الخليفة المهدي العباسي. لكن المؤرخ
الموسيقي الدكتور محمود أحمد الحفني يرى أن ولادة
زرياب كانت في عام (١٦٠هـ — ٧٧٧م)، فعاصر
الهادي، ثم هارون الرشيد في بغداد، وعبد الرحمن بن

الحكم في الأندلس.

أما سنة وفاته فهي أيضاً غير معروفة رغم شهرته الفائقة في الأندلس وأوروبا. لكن الدكتور الحفني يقدر وفاته في عام (٢٣٨هـ - ٨٥٢م)، فيكون قد عاش (٧٥) خمسة وسبعين عاماً.

٤ - تقوم هذه المسرحية على حادثة خصومة إسحاق الموصلي مع تلميذه زرياب بعد إعجاب الرشيد به. أما خصومة زرياب مع الشاعر الغزال فهي حقيقة معروفة. وما عدا ذلك من أحداث فهو اختراع وتأليف يستند إلى أعمال زرياب في الموسيقى والغناء والآلات والرقص والملابس والمآكل والمشارب.

٥ - لا يليق بهذه المسرحية سوى الاحتفالات الموسيقية الغنائية والراقصة. لذلك لابد من أن تكون الاستعراضات ضخمة، خاصة ما يتعلق بملابس المغنين والموسيقيين والراقصين وألوانها، لتعبر عن أجواء الأندلس الرائعة، وعن أساليب التعليم والتدريب في معهد زرياب الموسيقي.

”المؤلف”



المشهد الأول:

المكان : صالة فسيحة، ذات أعمدة، مفروشة
بالبطانيخ والسائر الجميلة الملونة، إنها
معهد زرياب، موسيقار الأندلس، تجري
في الصالة هذه جميع تدريبات الغناء
والعزف، والرقص لطلاب المعهد.

الزمان : ضحوة نهار جميل.

تضج الصالة بالطلاب والطالبات الذين
يستعدون للقيام بالتدريب العام، ولذلك

نرى راقصين وموسيقيين ومغنين —
ذكوراً وإناثاً — وهم يلبسون ملابس
اختصاصاتهم ، ويقومون — الآن
جماعياً بتمارين الليونة لأجسادهم
وأصواتهم، وضبط أوتار آلاتهم.

إننا نسمع الآن كثيراً من الأصوات
الموسيقية والغنائية المختلطة
والمندخلية، نرى حركات الراقصين
المتنوعة تملأ أرجاء الصالة.

في زاوية ما من مقدمة الصالة يجلس
زرياب على أريكة متوسطة الارتفاع،
وإلى جانبه عوده الجميل، وأمامه طاولة
متوسطة الحجم فوقها دواوين شعر،
وأوراق وأقلام، وريشة عود من جناح
نسر.

إنه ينظر — الآن — في الأوراق
ويتأملها وسط صخب الاستعدادات
الفنية.

رويداً، رويداً تتحول الفوضى إلى
انضباط ونظام جميلين، خاصة حين بدأ
شاب من الطلاب هو "منصور"
بالدوران بين رفاقه ينبههم إلى بدء
التدريب العام المنظم.

وهكذا تسود النغمة الموسيقية الواحدة
لمجموعة الآلات، ويسود الإيقاع
الواحد. ويبدأ الراقصون بضبط حركات
أجسادهم في حركة واحدة، وتبدأ
الحناجر الجميلة القوية بالغناء الصّاح.

وفي أثناء كل ذلك كان يحيى بن حكم
— الملقب بالغزال — شاعر، وسفير
الأمير عبد الرحمن بن الحكم، قد تسلل
خلسة وراء إحدى الستائر دون أن
يُحسَّ به أحد، ودون إذن من زرياب
ليسمع ويرى من خلف الستائر ما
سوف يقدمه طلاب المعهد.

المجموعة : (تغني)
آه يا عيني اسعفيني (١) من سهادي (٢)
وارحميني من عذابي في بُعادي
وأعيدني إلى مهوى فؤادي
إن قلبي ذاب في حبّ بلادي

زرياب : (ناهضاً مصفّقاً بيديه دلالة على إيقاف
التدريبات، يتوقفون جميعاً، وينظرون إليه
لسماع ملاحظاته).

بعضُ الغناء كانَ حسناً، لكنَّ الرقصَ
ما يزالُ يحتاجُ إلى ليونةٍ أفضل،

وَحَفَّةٌ، وَأَنَاقَةٌ. أَعْنِي، يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ
يَكُونَ مَعْبَرًا، خَاصَّةً أَنْتِ يَا جَمِيلَةَ.

جميلة

: (وهي تتقدم نحو أستاذها — وبصوت
ضعيف) آسَفَةٌ يَا سَيِّدِي فَأَنَا
مَرِيضَةٌ!!..

زرياب

: (بدهشة) ماذا، مَرِيضَةٌ؟!.. (يندفع
نحوها ملهوفاً — يلمس جبينها بيده، فإذا
هو شديد الحرارة) حَرَارَتُكَ مَرْتَفَعَةٌ،
الآن يَجِبُ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى الطَّبِيبِ ابْنِ
نَاصِحٍ. (يشير بيده إلى أحد الراقصين)
مَنْ فَضْلُكَ خُذْهَا إِلَى الطَّبِيبِ، هَيَّا.

(يتحرك التلميذ وتتبعه جميلة وسط صمت
واحترام الطلاب جميعاً. يتابع زرياب
كلامه).

أَرْجُوكُمْ جَمِيعًا أَنْ تَحَافِظُوا عَلَى
صِحَّةِ أَبْدَانِكُمْ وَأَرْوَاحِكُمْ لِأَنَّنا مَعَاشِرَ

الفنانين نتعاملُ دائماً مع الجميل
والحسن. ولكي نغني ونعزف
ونرقصَ بشكلٍ عظيمٍ ورائعٍ، لابدَّ
وأن تكون أجسادنا وأرواحنا سليمةً،
معافاةً من كل مرضٍ أو علةٍ. هل
يشكو أحدكم عارضاً ما، سعالاً،
ضيقاً في التنفس، آلاماً في المفاصل
— أي شيءٍ؟!!!..

(صمت قصير، لا أحد يتكلم — يتابع
زرياب) أتابع ملاحظاتي على تدريبكم
فأقول: أمّا الغناء فعلى حيويته فإنه
يحتاجُ إلى عذوبةٍ، ورقةٍ، وحنانٍ
لتظهرَ الأشواقَ صادقةً، دافئةً، طيبةً.
(يصفق بيديه وكأنه يدعوهم إلى إعادة
التدريبات من جديد...)
أعيدوا من فضلكم هذا التدريب...!!

* *

المشهد الثاني

(فجأة يظهر من وراء الستارة الشاعر
الغزال رافعاً صوته، ساخراً، وبذلك
يفاجئ الجميع).

الغزال : مهلاً يا أبا الحسن!!
زرياب : (دهشاً) الشاعرُ الغزالُ؟! كيفَ

- دخلت علينا ومتى؟! : الغزال
- أما كيف دخلت فقد تسللت، وأما متى.. فمنذ اللحظة الأولى لتدريباتكم. زرياب
- : لماذا؟! : الغزال
- أحببت أن أعرف كيف تجرون تدريباتكم على فنون الشعر والغناء والعزف والرقص والتعبير. زرياب
- إذن: فقد دخلت معهدنا من دون استئذان، وهذا مخالف لأوامر الله. الغزال
- : اعذرني يا أبا الحسن عليّ ذلك، لأنّ رغبتني في المعرفة غلبتني. زرياب
- : بهذا عذرناك. الغزال
- : غير أنّي أرى شعراً غنائكم ضعيفاً، سخيلاً، عامياً، وبذلك متعت نفسي بعض المتعة.

زرياب : باللحن فقط؟!
 الغزال : بلى.. ولكن، كأنَّ اللحنَ ليسَ لك!!
 زرياب : بل هو لي. غيرَ أنَّ فيهِ بدْعَةٌ
 جديدة.
 الغزال : (يبتسمُ بدهاءٍ) خِفَّةُ الوزنِ، وبساطةُ
 اللغةِ، وقُرْبُها مِنْ لغةِ الناسِ، وتآلفُ
 نغماتِها، وتقاربُ مخارجِ
 الأصواتِ...
 زرياب : أَصَبْتَ أيُّها الغزالُ. والشَّعْرُ؟!
 الغزال : (بخبثٍ ومكرٍ) كأنَّكَ لا تحبُّ قُرْطُبَةً!!
 زرياب : (دهشاً من الهجومِ المفاجئِ).. أنا؟!!!!
 (يندهش الجميعُ فتسري همهمات ودمدمات
 بين الطلاب من كلام الغزال؛ ومن هجومه
 الجريء على أستاذهم — يلتفت الغزال —
 وسط هذه البلبلة — إلى الطلاب متابعاً
 بدهاء وسخرية).

الغزال : أما كنتم تغنون هكذا، (يغني بصوت نشاز مقصود)، وأعيديني إلى مهوى فؤادي؟؟!

زرياب : (منزعجاً؛ رافعاً صوته)، ما هكذا كانوا يغنون يا غزال، ثمَّ إنَّ غناءنا تمجيدٌ للأرض التي ولدنا عليها.
الغزال : (بدهاء) ها ها ااااا.. قُلْتَهَا بِلِسَانِكَ!!

زرياب : ماذا تعني؟!

الغزال : إِنَّكَ تُحِبُّ بَغْدَادَ أَكْثَرَ مِنْ قُرْطُبَةَ!!

زرياب : (مصعوقاً) كلاّ يا غزال، كلاّ!!..

الغزال : (بصوت بارد) بَغْدَادُ يَا زُرِيَابُ طَرَدَتْكَ فَقِيرًا مُعْدِمًا تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ.

زرياب : (بصوت مكتوم) بَلْ طَرَدَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ. (٣) (صمت قصير)
أستاذي!!!

الغزال

: لَأَنكَ غَدَرْتَ بِهِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ
الرَّشِيدِ وَخَنَتَهُ (٤)!!!

زرياب

: (غاضباً) لَمْ أَفْعَلْ، لَمْ أَفْعَلْ!!

(يبدأ الطلاب بمغادرة الصالة إلى الزوايا،
بعضهم يختفي خلف الستائر، واضح أنهم
لا يريدون أن يسمعوا افتراءات الشاعر
الغزال على أستاذهم وربما لكي يُتيحوا له
حرية أفضل للدفاع عن نفسه، فيصرخ بهم
زرياب....).

عودوا إلى أماكنكم واسمعوا ما أقول،
فليس في حياتي عملٌ يُسيءُ إلى
أخلاقي. (يبدؤون في العودة إلى
أماكنهم...).

الغزال

: (ببرود) نَافَسْتَهُ فِي الْغَنَاءِ وَالْعَزْفِ،
وَادَّعَاءِ الْعِلْمِ الْوَاسِعِ فَسَرَقْتَ مِنْهُ
إِعْجَابَ الرَّشِيدِ بِهِ!!

زرياب

: وَهَلْ تَرِيدُنِي أَنْ أَدْفُنَ مَوْهَبَةً عَظِيمَةً

وهَبَنِي إِيَّاهَا اللهُ سُبْحَانَهُ، فَاُنْكَشَفَ
أَمْرِي بِهَا أَمَامَ الرَّشِيدِ؟! ثُمَّ كَيْفَ
أَسْرُقُ إِعْجَابَ الْخَلِيفَةِ بِهِ وَهُوَ مُعَلِّمِي
وَأُسْتَاذِي؟!...!!!

الغزال

: أَلَمْ تَرْفُضِ الْعَزْفَ عَلَى عَوْدِ
أُسْتَاذِكَ؟! أَلَيْسَ هَذَا خِيَانَةً لَهُ؟!!

زرياب

: كَلَّا. بَلْ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لِأَنَّ لِي
عَوْدِي الْخَاصَّ. نَحْنُهُ بِيَدِي بِمَا يَنْتَاسِبُ
مَعَ أَفْكَارِي الْمَوْسِيقِيَّةِ، وَأَحْلَامِي فِي
الْغِنَاءِ وَالتَّلْحِينِ الْمُحَدَّثِينَ!!

الغزال

: (لِلطَّلَابِ) أَتَسْمَعُونَ.. (لِزْرِيَابِ) هَلْ
تَعْنِي أَنَّ إِسْحَاقَ كَانَ تَقْلِيدِيًّا قَدِيمًا، لَا
يَتَطَوَّرُ فِي أَلْحَانِهِ وَغَنَائِهِ وَلَا فِي
آلَاتِهِ وَمَعَارِفِهِ؟!..

زرياب

: (بِثَقَّةٍ) إِنَّ كُنْتَ تَرِيدُ ذَلِكَ فَجَوَابِي
نَعَمْ!!.. وَأَمَّا أَنَا فَلِي مَذْهَبِي الْخَاصُّ.

الغزال : أنتَ إذنَ مِنْ أنصارِ الأميرِ إبراهيمَ
ابنِ المهديِّ (٥)!!!

زرياب : أليسَ هو أخا هارونَ الرشيدِ؟! أليسَ
هو موسيقاراً بارعاً. (طلابهِ) اسمعوا
يا أبنائي. كان إبراهيمُ بنُ المهدي
موسيقاراً مجدداً حديثاً، يتطورُ مع
تطور الحياة الاجتماعية في بغداد.

الغزال : (يقاطعه) كما يتطورُ شعرُ أبي
نواس (٦)، (صمت شبه طويل.. ثم)
أليسَ كذلك؟!!!

زرياب : (بدهشة) كأنك تهاجمُ التطورَ في
الآداب والفنون يا غزال، وشِعْرُكَ
مثلُ أشعارِهِمْ، كيفَ أُصدِّقُ ذلكَ؟!!!..

الغزال : أنا أتكلَّمُ عن خيانتِكَ لأستاذِكَ!!

زرياب : (يصرخ) أنا لم أَخُنْهُ وأنتَ تعلمُ ذلكَ.
بل هو الذي غارَ مني وحَسَدَنِي على

إبداعِي، ولا أَظنُّ أَنَّ مُعَلِّمِي إِسْحَاقَ
كَانَ سِيرَضِي عَنِّ اخْتِرَاعِي لِعُودِي
الْخَاصِّ بِي، وَلَا عَنِّ أَلْحَانِي، لِأَنَّهَا
لَيْسَتْ مِنْ مَدْرَسَتِهِ.

الغزال : كَانَ يَجِبُ وِلَاءٌ لَهُ، أَن تَعْلَمَهُ
بِاخْتِرَاعَاتِكَ.

زرياب : كَانَ سِيرْفُضُهَا، وَأَنَا الَّذِي سَبَّهْتُ
مَنْ أَجْلَهَا اللَّيَالِي، بَلْ كَانَ
سَيِّبًا....(وَيْسَكَتْ زَرِيَابُ فَجَاءَتْ...).

الغزال : كَانَ مَاذَا يَا زَرِيَابُ؟! هَلْ كَانَ
سَيِّدَ عِيهَا لِنَفْسِهِ؟! أَتَعْنِي أَنَّهُ كَانَ
سَيِّسَرُفُهَا؟ أَنْتَ تَهْذِي إِذْنًا.

زرياب : أَنَا لَا أَهْذِي يَا غَزَالُ، مُعَلِّمِي لَمْ
يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَهْرَةٍ، لَكِنَّهُ خَافَ
عَلَى نَفْسِهِ، وَاعْلَمْ — (لِطَلَابِهِ) وَاعْلَمُوا
جَمِيعًا أَنَّ اخْتِرَاعَاتِي أَفْزَعَتْهُ لِأَنَّهَا

جديدة لا يعرفها هو. لهذا غارَ مِنْ
إعجاب الخليفة بي، وحَسَدني. (يضغطُ
علي كلماته)، وها أنت الآن يا غزالُ
تشبه، للأسف، أستاذي وتغارُ مِنِّي
وتحسُدُنِي بسبب حبِّ الأمير عبد
الرحمن بن الحكم لي وتفضيله إِيَّايَ
على غيري!!

الغزال

: أغارُ منك أنت وأنا الشاعرُ الرقيقُ،
والسفيرُ الناجحُ؟! يابنَ نافع سأُنقلُ
لمولانا الأمير ما سمعتُ أذناي مِنْ
غناء طُلابك ومن صريح أقوالك!!

زرياب

: اسمع إذن يا غزال: طلابي
ينتظرون دروسي وأنت تعطلنا.

الغزال

: (وقد فاجأه كلام زرياب وجرأته)
أَتطرُدُنِي يا زرياب؟!!!

زرياب

: (ينادي) منصور!!

منصور : (يسرع ويقف أمام أستاذه) نعم
ياسيدي!!

زرياب : (بحفاء) رافق شاعرنا إلى الباب،
واحرص على وداعه.

(لحظات من الصمت تمرّ بطيئة، ثم يندفع
الغزال الشاعر مسرعاً نحو باب الخروج
وفجأة يتوقف، يلتفت إلى زرياب).

الغزال : ستدفع الثمن غالياً يا زرياب.
(ويخرج سريعاً لكن منصوراً لا يلحق به،
بل يبقى واقفاً في فتحة الباب. صمت بين
الجميع وزرياب مطرق برأسه قليلاً).

المشهد الثالث

(فجأة، يندفع زرياب نحو عوده، ويعزف
بضعة أصواتٍ بسرعةٍ، وينشد بصوت
قوي حزين).

زرياب :
أَيْهَذَا الزَّمَانُ أَشَقَّيْتَ عُمْرِي

زَاغَ (٧) مَنِي الْأَمَانُ وَانْهَدَّ صَبْرِي

يَا إِلَهِي، ضَعْتُ مِنْ شَرٍّ وَغَدِرٍ

(لقد أدهش غناء زرياب بهذا الأداء
التعبيريّ المبهّر جميع الطلاب – يتقدم
إبراهيم بحذرٍ من زرياب، وكأنه يواسيه).

: كَأَنَّكَ حَزِينٌ يَا مُعَلِّمِي!!؟

إبراهيم

: بَلْ أَنَا مُقْهَوْرٌ يَا إِبْرَاهِيمُ. وَلِهَذَا
تُرَانِي أُغْنِي بِصَوْتٍ قَوِيٍّ وَمُلْتَنَاعٍ كَمَنْ
يَسْتَغِيثُ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيعًا.

زرياب

: هَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ يَا سَيِّدِي، تَجْعَلُ
مِنْ أَلَامِكَ دُرُوسًا لَنَا!!؟

إبراهيم

: نَعَمْ... التَّعْبِيرُ عَمَّا نَحْسُ وَنَشْعُرُ
وَنَعَانِي بِالْغِنَاءِ. (يَلْتَقِيتُ إِلَى الطُّلَابِ)
أَلَيْسَ الْغِنَاءُ – وَالْفَنُّونُ كُلُّهَا –
تَعْبِيرًا عَنِ تَجَارُبِنَا فِي الْحَيَاةِ!!؟

زرياب

(صمت.. يعزف زرياب بضع نغماتٍ
رقيفة، حزينة لكنها قصيرة.. ويغني، بينما
ترافقه بعض آلات الإيقاع...).

مَنْ مُجِيرِي^(٨) مِنْ حَسُودٍ مَنْ نَصِيرِي مِنْ حَقُودٍ
مَنْ سَمِيرِي^(٩) فِي أُنِينِي مَنْ صَدِيقِي فِي الْعُهُودِ
فَاهْدَنِي يَا عَيْنُ إِنَّ الْغَدْرَ يَفْنَى لَا يَسُودُ

إبراهيم : (مشجعاً) الله.. الله.. ما أجملَ هذا
الغناء في هذا الكلام. والله ما علمنا
أحدٌ كما تعلمنا يا سيدي

زرياب : (مسروراً بالمدح): شكراً يا إبراهيم،
شكراً لكم وأرجو أن نعود إلى
دروسنا.

منصور : (وهو يقفز في الهواء من الفرح،
يصرخ)، إلى النوبة الموسيقية.

زرياب : هل أتقنتها يا منصور؟!
 سلمى : (بفرح، تمازح منصوراً)، إنه يُتقنُ
 نوبة الملاحق والصُّحونِ والطناجرِ.
 زرياب : (بدهشة) نوبة الملاحق.. ماهذه؟!
 منصور : (مرتبكاً) هي.... أعني... (لا يجد
 كلاماً يقوله...)
 زرياب : ماهي يا سلمى؟!..
 منصور : هي يا سيدي لحنٌ للمتعة والضحك
 وتفريح النفس والبدن!! صدّقني!!
 سلمى : (تمازح منصوراً) هو في الحقيقة لا
 يُتقنُ سوى نوبة الملاحق
 والصُّحون!!!
 منصور : أنا؟!!!
 زرياب : أحقاً يا منصور؟!
 منصور : لا ياسيدي، إنهم يغارون مني،

وَيَحْسُدُونَنِي لِأَنِّي...

زرياب : (يقاطعه بقوة) كفى، كفى..

منصور : (بدهشة) عفواً يا سيدي.

زرياب : (كمن لا يصدق) هل سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ
الحَسَدَ والغِيْرَةَ؟!

منصور : (مرتبكاً) نعم...

زرياب : (غاضباً) لا أريدُ أَنْ أسمعَ هذا الكلامَ
هنا أبداً. (يدور بين الطلاب بحماس
ظاهر) الأخلاقُ مبدؤنا والمحبةُ رائدُنا.
فلا حَقْدٌ بيننا ولا كراهيةٌ. هذا هو
الفنانُ، إنسانٌ عظيمٌ لأنه كريمٌ
وعفيفٌ. يسعى وراءَ الجمالِ واللَّطافةِ
والرَّهافةِ بصدقٍ ومحبةٍ.

منصور : عفواً يا معلمي. إنها زلَّةٌ لسانٍ
أحمق!!

زرياب : أعرفُ ذلكَ، ولكنْ عليك أنْ تعتذرَ
لسلمى!!

سلمى : أسامحُها إذا غنَّى لنا نوبةَ الملاحق.

زرياب : رغمَ أنني لا أُحبُّ الغناءَ الهابطَ
فإنني سأسمعُ نوبةَ ملاحق منصور،
ولكنْ بعدَ أنْ نعرفَ منه ماهي نوبتُنا
الموسيقية، إنْ كانَ يعرفُها!!

منصور : (بفرح وحيوية لأن أستاذة سامحه)
النوبةُ يا سيّدي هي أسلوبٌ، أو...
طريقةٌ في الغناءِ اخترعَها أستاذنا
زريابُ.

زرياب : (يطرق برأسه إلى الأرض متأملاً
وشابكاً ذراعيه خلف ظهره - يهز
رأسه).. آآ... اخترعَها... لا بأسَ بهذا
الكلام. ولكنْ، كيفَ كانَ الغناءُ قبلَ
ذلكَ يا منصورُ!!؟

منصور : كان يا سيدي أيام الرشيد يتألف من
مجموعة مغنين يغنون وراء بعضهم
على التوالي، أعني بالدور. وكان كل
مغن مختصاً بنوع محدد من الغناء.
أما أنت فمختلف عنهم جميعاً.

زرياب : أحسنت يا منصور..

منصور : هل أتابع يا سيدي؟!

زرياب : بل نستمع إلى سلمى.

سلمى : طريقتنا يا سيدي أننا نبدأ نوبتنا
بالنشيد الثقيل من الأوزان والنغمات،
ثم نخرج منها إلى الألحان البسيطة،
فالأهازج المرقصة فالنشيد المرسل.

منصور : بهذا الاختراع يا سيدي لتسلسل
الأنغام والأصوات والإيقاعات
وأساليب الغناء تفوقت على أساتذتك
جميعاً!!..

زرياب : لا يا منصور، بل تَعَلَّمْتُ مِنْهُمْ،
وعلى علومهم بَنَيْتُ عِلْمِي، ولولاهم
ما كنت ولا كنتم!!

منصور : لكنك فَتَنْتَ الخليفة الرشيد، يومَ
غَنَيْتُهُ بأسلوبك الجديد على عودك، ما
أدْهَشَهُ، فأوصى بك إسحاق..

زرياب : صَدَقْتَ يا منصور، يومها غَنَيْتُ
كما لم أُغْنِ مِنْ قَبْلُ أَبَداً.

سلمى : صوتك يا سيدي هبةُ الله، ولهذا
سمَّاكَ أهلُ الفنِّ زريابَ تشبُّهاً بطائرٍ
أسود اللون جميل الصوت.

(صمت طويل بين زرياب والطلاب،
وبحركة خفيفة هادئة يسير زرياب نحو
طاولته والعود بين يديه. وكأنه يتذكر أيام
بغداد...)

زرياب : يومها عزفتُ على عودي... (يعزف

بضعة أصواتٍ ثم يتوقف ويتنهد).

: هل اسألُ ياسيدي ؟!

إبراهيم

: نعم يا إبراهيم ؟!

زرياب

: لماذا لم تعزف على عودِ
معلمك ؟!!!

إبراهيم

: لقد سألتني الخليفة الرشيدُ هذا
السؤالَ. بل إنه لم يستطع أن يفرّقَ
بين عودي وعودِ معلمي. كانا
متشابهين من حيث الشكل.

زرياب

: برغم علمه ومعرفته ؟!

سلمى

: لا يعرفُ ذلك سوى أهلِ الفنِّ يا
سلمى، وبالتجربة !!!

زرياب

: لم أفهم !!

منصور

: انظروا إلى عودي. (ينظرون جميعاً
باهتمام) الخشبُ هو نفسه، لكنه أخفُ

زرياب

ثَلَاثَ وَزْنِ عَوْدِ إِسْحَاقَ. وَأَمَّا أَوْتَارُهُ
فَمِنْ الْحَرِيرِ الَّذِي لَمْ أَغْسِلْهُ بِمَاءٍ
سَاخِنٍ حَتَّى لَا تَرْتَخِيَ فَتَصْبَحَ أَثْنَى.
وَأَمَّا هَذَانِ الْوَتْرَانِ (يُشِيرُ إِلَى الْوَتْرَيْنِ
الْعُلُوبَيْنِ) فَقَدْ صَنَعْتُهُمَا مِنْ مُصْرَانِ
شِبْلٍ أَسَدٍ، إِذَا عَزَفْتَ عَلَيْهَا
بِالْمِضْرَابِ أَصْدَرْتَ رَنِينًا حُلُوءًا
وَصَفَاءً مُدْهِشًا. وَأَوْتَارُ الْمِصْرَانِ هَذِهِ
تَتَحَمَّلُ الضَّرْبَ وَالْعَفْقَ بِمِضْرَابِ
الْخَشَبِ. مَعَ أَنَا الْآنَ نَسْتَخْدِمُ رِيشَةَ
مِنْ جَنَاحِ النَّسْرِ.

إِبْرَاهِيمُ

: وَنَحْنُ — وَالتَّارِيخُ — لَنْ نَنْسَى
إِضَافَتَكَ الْوَتَرَ الْخَامِسَ الَّذِي زِدْتَهُ بِهِ
مَسَاحَةَ الْغَنَاءِ وَالْأَنْغَامِ فِي مَخْتَلَفِ
الطَّبَقَاتِ. فَالْكَتْسَبُ الْعَوْدُ قُدْرَةُ تَعْبِيرِيَّةٌ
جَدِيدَةٌ وَطَاقَةٌ فَرِيدَةٌ.

منصور : ولن ننسى يا سيدي اختراعك
وتطويرك لأداء الفرقة الموسيقية
ومجموعات الغناء، وأساليب التدريب
الحديثة!!..

سلمى : وفن ارتداء الملابس بحسب
الفصول، وتزيين الشعر وآداب
الطعام. وغير ذلك كثير يا سيدي.

زرياب : (يتنهد) ومع هذا فإنهم يغارون مني
ويكيدون لي وأنا بعيد عن السياسة.

منصور : الصبر يا سيدي صفة المؤمنين!!!

زرياب : سامحك الله يا إسحاق، غير أنك
نفعتني بعلمك، وبطردك إياي من
بغداد.

* *

∞ ————— ∞

المشهد الرابع

(فجأة يدوي صراخٌ من خارج الصالة ، ثم
يندفع رجلٌ سمين وهو يلهث).

عُبادَة	: دعوني... ابتعدْ من طريقي... (أمام زرياب) أف!! أترى هذه البهدة!!..
زرياب	: أنقِثْهم معهدي بهذه الطريقة يا سيد.....

عُبادَة : اسمي عُبادَة. (كأنه يعتذر) سامحني
يا أبا الحسن، حاجبُكَ يمنعني من
الدخول وأنا في حاجةٍ إليك، فكيف
أدخل إذن؟!!!!

زرياب : تطلبُ إذنًا!!

عُبادَة : وانتظر؟!!! ... لا أستطيعُ.... أما
الآن وقد قابلتُكَ فاسمَعني.

زرياب : تكلمّ....

عُبادَة : (يصرخ) ادخلي يا عفراء...
(تدخل عفراء، وهي فتاة سميّنة مثل عبادة،
إنها تصفق بيديها وتتراقص وتدممُ لحناً
مأ، رغم أنها تستر وجهها بخمار أسود
اللون. تتوقف وتضحك بصوتٍ خافت غير
أنه مسموع).

زرياب : مَنْ هذه؟!!

عُبادَة : مُغَنّيتي، وأريدُ أن تُعطيني رأيك

فيها يا أبا الحسن!!
زرياب : هل تُغني وتُعرفُ؟!
عُبادَة : (بفرح) وتقولُ شِعْراً (تضحك عفراء)
انشدِينا يا عفرائي!!

(بحركة سريعة تفاجئ الجميع وتزرعُ
الخمار عن وجهها وترميه إلى الأرض،
كأنها ممثلة مسرحية، وتبدأ بتحريرك
ذراعيها في الهواء وهي تنشد بأسلوبٍ
يشبه إلقاء الأطفال).

عفراء :
هَيَّأتُ لِلصَّيْدِ الشَّبَكُ وَمَضَيْتُ أَصْطَادُ السَّمَاءِ
وَرَمَيْتُ فِي مَاءِ الْبُحَيْرَةِ شَبَكَةً لَا تَنْشَبُكَ
فَإِذَا بِحُوتٍ قَالَ لِي مُبْتَسِماً: مَا أَجْمَلُكَ
أَنْتَ الْمَلِيحُ أَنْاقَةً أَنْتَ الْمُدَلَّلُ يَامَلَكُ
فَتَرَكْتَهُ وَمَضَيْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مَرَقَ الْحَسَكِ

- عُبادَة** : (فرحاً - يصفق) الله...الله
رائعة. أسمعُ يا زرياب؟!.. إنها
ظريفة!! أما صَوْتُهَا.. فَأَجْمَلُ مِنْ
البلابلِ والحساسينِ والشحاريرِ
والكناري (١١)!!!!
- زرياب** : هذا كلامٌ أَخْرَقُ، فارغٌ، لا معنى
له، وقائلُهُ جاهلٌ.
- عُبادَة** : (منزعجاً) جاهلٌ؟! هذا أنا.. أنا قلتُ
هذا الشعرَ الجميلَ الرائع!!
- منصور** : إنه ليسَ جميلاً ولا رائعاً. هل
رأيتَ حوتاً يعيشُ في بُحِيرَةٍ!!?
- عُبادَة** : أسكتْ أنتَ يا تلميذُ. أنا أَكَلُّمُ
أستاذك!!
- زرياب** : بل هو شعرٌ سيئٌ.
- عُبادَة** : لو تَسَمَّعُ لحنُهُ وغناءَهَا... ستغَيِّرُ
رَأْيَكَ. اسْمَعْ... اسْمَعْ (للطلاب..).

هاتوا دَفًّا، أو صَحْنًا، أو طنجرةً...

زرياب

: (بدهشة) طنجرة!!!!!!

منصور

: (ساخرًا) طبعًا، لِيَطْبُخَ الشَّعْرَ مَعَ
اللَّحْنِ. مِنْ دُونِ مَرَقٍ!!

عبادة

: أَحْسَنْتَ... لنطبخ الكلام في
الألحان... هاتوا أيَّ شيءٍ..

زرياب

: أعطوها عودًا لنرى..

(إبراهيم يعطي عبادة عودًا — عبادة يتأمل
العود، ينقر عليه بأصابعه — ثم يعطيه
لعفراء التي تستعمله مباشرة وكأنه دربكة
— تخبط بأصابعها وتتراقص وتخبط
بقدميها وترعق).

عفراء :

شَرِبْنَا مِنْ قَنَانِنَا شَرَابَ الْخَوْخِ وَالْجَوْزِ

وَقَضَّيْنَا لِيَالِنَا بِأَكْلِ التِّينِ وَاللَّوْزِ

وَوَغْنَيْنَا أَغَانِنَا بِنَقْرِ الْكَأْسِ

بـالدور

فَحَقَّقْنَا أَمَانِينَا وَفَزَّنَا أَيْمَانَ فَوْز

عُبادَة : رَائِعٌ، رَائِعٌ... ماذا يا أبا الحسن؟! هل غَيَّرْتَ رَأْيَكَ؟!..

زرياب : بَلْ هِيَ سَيِّئَةٌ جَدًّا.

(تبكي عفاء بصوت قوي وهي تهتز وتخط الأرض بقدميها كأنها طفلة صغيرة — يحاول عبادة إرضاءها).

عُبَادَةُ : بَسْ.. بَسْ.. سَوْفَ أَنْتَقِمُ لَكَ،
انظُرِي.. انظُرِي (يكلم زرياب) أَنْتَ لَا
تَفْهَمُ فِي الْمَوْسِقَا. أَنْتَ جَاهِلٌ (تَضْحَكُ
عَفْرَاءُ) عَيْبٌ... عَيْبٌ عَلَيْكَ يَا أَخِي
أَنْ تَخْنُقَ هَذِهِ الْمَوْهَبَةَ الرَّائِعَةَ (تَضْحَكُ
عَفْرَاءُ) أَرْعَلْتَهَا، وَأَبْكَيْتَهَا. عَفْرَائِي...
: هَا!!!!

عُبَادَة : هذا الزَّرِّيَابُ الجَاهِلُ متَكَبِّرٌ لَا يُعْجِبُهُ

العَجَبُ، ولا الصِّيَامُ في رَجَبٍ...
زرياب : هل تشتمني يا عبادة وأنت في
معهدي؟!..

عبادة : البادئ أظلم. أنت أهنتها، وأهنتني.
أبكيته، وأزعلتني. هل عندك أفضل
منها؟! أتحدّك!! وهل ألك أجمل
من ألكاني، وأشعارك أحلى من
أشعاري?!؟! أتحدّك.. أين
عصفورتك المغنيّة.. أين؟!

زرياب : سترى عسافيري حقاً أمام غرابك
هذا!! (ينادي) حمدونة!!

حمدونة : (تتقدم) نعم يا أبي!!.

عبادة : (بدهشة) ابنتك?!?!

زرياب : أسمعني هذا السيّد، وهذه الجاهلة
كيف يكون الفنُّ الراقي والغناء
الحسن!! منصور، إبراهيم.. اعزفوا

ورافقوها جميعاً بالرقصِ والغناء!!
**

المشهد الخامس

(منصور يقود الفرقة ويعطي إشارة البدء).

منصور : استعداد... (ويهمس) واحد...
اثنان...

(تعزف الفرقة لحناً حراً دون إيقاع،
تقاسيم ارتجالية للعود أو للناي، ثم مقدمة

موسيقية موزونة لجميع الآلات على وزن
ثقيل بطيء - تشارك فرقة الرقص - يبدأ
الغناء).

المجموعة:

في رياضِ الآس^(١٣) طابَ نادينا^(١٤).
رَقَّ الإحساسُ شَدُو حادينا^(١٥).
فأنهلوا يا ناسُ مِنْ أغانينا

حمدونة: (وبعد مقدمة موسيقية قصيرة تغني).
يا أَحِبَّتْنا أَنْظَرُوا الْأَزْهَارَ بِالصِّفَا تَصَدِّحُ
وَاسْمَعُوا الْأَطْيَارَ تُرْسِلُ الْأَشْعَارَ فِي الصَّدى تَسْبِحُ

المجموعة:

النَّشِيدُ يَدُورُ مَوْكِباً مِنْ نُورِ
مِثْلَمَا الْعُصْفُورُ

في الفضا يَمْرَحُ

حمدونة :

فَارْسِلُوا الْأَلْحَانَ يَا مُغَنِّوْنَا
تَغْسِلُ الْأَحْزَانَ مِنْ مَاقِينَا^(١٦).

يَا أَحَبَّتَيْنَا

مَا أَيْادِيكُمْ إِلَّا أَيْادِينَا

المجموعة : (وترافقهم في الختام حمدونة)

مَا أَمَانِيكُمْ إِلَّا أَمَانِينَا

زرياب : (يصفق لهم وهو يبتسم) أَحْسَنْتُمْ. شكرًا
لكم جميعاً!! ما رأيك يا عبادة بهذا
الغناء؟!

عُبادَة : غناء؟! (يضحك، وتضحك معه عفراء)
أهذا غناء؟! عَصْفُورٌ وإِحْسَاسٌ،
وَزُرْزُورٌ وآسٌ؟!!! كأننا في غابة. يا

أخي مالي وللأس وأحزان الناس؟!
أنا أحب نضوج ألحان الطعام في
القدور، وشرح البطون بشراب من
التفاح المعصور، أما هذا الغناء..
فبائس مهجور!!... (ويضحك مع عفراء
على كلامه)..

منصور : (منزعجاً) مابه هذا الغناء آآآ...؟!
إنك لا تحسنة إطلاقاً، ولا تعرفه
أصلاً.

زرياب : (يؤنب منصوراً) منصور!!
منصور : اسمح لي يا سيدي.. سأقدم لهذا
السيد وجبة من الغناء دسمة يسيل لها
لعابته. لدينا يا سيد عبادة غناء عن
الطعام يناسب بطنك وبطن عفراء في
كل مقام.

زرياب : كأنني أسمع كلاماً غريباً علي!!

سلمى
منصور

: (تعلن بصوتٍ مرح) نوبةُ الملاحق!!
: كأنَّها الصواعق... تهزُّ كلَّ جاهلٍ
منافق... اعزفوها...

(تملأُ الأسماع موسيقا ذات طابع إيقاعي
شديد - نقر على الدفوف - نقر على
خشب الأعواد، وعلى الصحون، وأصوات
الملاحق تسيطر على الأجواء العامة -
يندهش زرياب لكل ما يسمع وكأنه غير
مصدق .

يرقص الجميع بشكل فوضوي وساخر،
ويندمج معهم عبادة وعفراء، بينما ينسحب
زرياب إلى طاولته مأخوذاً من هذا
الاستعراض الساخر).

زَحَفْنَا إِلَى الْعُرْسِ زَحَفَ الْعَسَاكِرِ
لَحَشَوْا الْبُطُونِ، وَمَصَّ السَّكَاكِرِ
وَنَجَلِسُ نَنْتَظِرُ الطَّابِخِينَ
يَجِيئُونَ قَدْ حُمِّلُوا بِالشَّطَائِرِ (١٧)
إِوزًا وَبَطًا وَلَحْمَ غَزَالٍ

نُراقِبُهَا كَطَيُّورٍ كَوَاسِرٍ
إِذَا صَبَّاحَ دَاعٍ إِلَى الْأَكْلِ قُمْنًا
نُسُّلُ الْمَلَأَعِقِ سَلِّ الْخَنَاجِرِ
وَنَهْجُمُ نَقَرَعُ صَحْنًا بِصَحْنٍ
وَنَصْرُخُ حَتَّى تَبْحَثَ الْخَنَاجِرُ
أَلَا عَجَّلُوا بِاللَّحُومِ فَإِنَّا
غَرَقْنَا بِمَرْقَتِكُمْ فِي الطَّنَاجِرِ

عبادة

: (وقد أعجبه هذا الغناء - بسرور) إي
هه!! هذا أحسنُ غناءٍ سَمِعْتُهُ فِي
حَيَاتِي. وَأَنْتَ يَا مَنْصُورُ أَفْضَلُ
مَطْرَبٍ... أَقْسِمُ أَنَّكَ أَفْضَلُ مَطْرَبٍ
فِي الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ مَغْنِيَّتِي عَفْرَاءَ.

زرياب

: (منزعجاً) عبادة.. خُذْ عَفْرَاءَكَ
وَامْضِ سَرِيعاً قَبْلَ أَنْ أَغْضَبَ!!

عبادة

: تَطْرُدُنِي؟! طَيِّب.. سَأَمْضِي.
عَفْرَاءُ.. اتَّبِعْنِي. (عَفْرَاءُ تَتَنَاوَلُ خَمَارَهَا

وتضعه فوق رأسها وتلحق بعبادة.. عند
الباب يتوقف عبادة ويخاطب زرياب) لكنَّ
منصوراً مطرباً أفضل منك (ويخرج
سريعاً هو وغفراء. لحظة صمت، خاصة
من قبل منصور...).

منصور : سامحني يا سيدي.

زرياب : ما فعلته يا منصور كان غلطاً.
أُتغني هذا الغناء القبيح!!؟

منصور : هو للمزاح يا معلّم، ويليقُ بذلك
الرجل وتلك المغنية. مثله لا يعرفُ
غيرَ غناءٍ تافهٍ يا سيدي!!

زرياب : ونحن نرفضُ هذا التافه الساقط،
وأرجو أن لا تُكرّر ذلك، لأننا نغني
للجمال يا منصور، هل تفهم!!؟

منصور : بلى يا سيدي!!

المشهد السادس

(يدخل حاجب المعهد مسرعاً، ملهوفاً،
لاهثاً....)

الحاجب	: يا سيدي أبا الحسن، يا سيدي!!
زرياب	: ما بك يا أحمد، تصرخ وتلهث!!؟
الحاجب	: رسول الأمير....

زرياب : (بدهشة) حسانُ...؟!
 الحاجب : بعينه...!!
 زرياب : ليَدْخُلْ!!
 حسان : (وقد ظهر في الباب) ها أنا يا أبا الحسن....
 زرياب : (يرحب به) أهلاً برسولِ مولانا الكريم. ادْخُلْ أرجوك!!
 حسان : مِنْ مكاني...
 زرياب : كيف؟!
 حسان : هما كلمتان.. الأميرُ يطلبُك...!!
 زرياب : (بدهشة) عبدُ الرحمنِ بنُ الحكمَ؟!
 حسان : والآن!!
 زرياب : (كأنه يكلم نفسه...) فعلها الغزال إذا. صدّقني يا حسانُ هي تهمةٌ باطلةٌ!!
 حسان : عَجِّلْ بنا يا أخي بدلَ الكلام،

فالأميرُ ينتظرُ. (لحظة صمت قصيرة -

زرياب يتأمل تلاميذه، وأولاده..)

: (بأسى) حظٌ سيئٌ.... وداعاً.

: (يفسح طريقاً لزرياب) تفضّل يا

سيدي.

زرياب

حسان

(يمضي زرياب نحو باب الخروج وخلفه

حسان - صوت حمدونة ابنته يعلو فجأة

وهي تتاديه فيتوقف..)

: أبي!! (بعد لحظات - تدفع نحوه

وتتوقف أمامه) أرجوك.. لا تستسلم

للظلم يا أبي. كن جريئاً.

حمدونة

: لن أُجِبَنَّ يا ابنتي... (للجميع)

منصور.. إبراهيم.. تابعوا تدريباتكم

من فضلكم، لأنني سأعود.

زرياب

(يتحرك فجأة مستديراً للخروج، وفي الباب

يتقابل مع الطبيب ابن ناصح وهو يريد

الدخول على زرياب).

المشهد السابع

- ابن ناصح : (من الباب) السلام عليكم!!
زرياب : (بدهشة) الطيبُ ابنُ ناصحٍ؟!
وعليكمُ السلامُ..
ابن ناصح : هل أنتَ خارجٌ يا أبا الحسنِ؟!
زرياب : (وهو يشير إلى حسان) كما ترى..
فرسولُ الأميرِ يُرافقني!!
ابن ناصح : بل تبقى!!

زرياب : (بدهشة) ماذا؟! :
 ابن ناصح : لأن لي حاجة خطيرة عندك!!
 حسان : ولكن الأمير يطلبه!!
 ابن ناصح : (بثقة كأنه يأمر حسان) الأمير ينتظر،
 أما حاجتي فلا تنتظر!!
 زرياب : (يقلق) شغلت فكري يا بن ناصح.
 هل جميلة في خطر؟! :
 ابن ناصح : بل هي كالحصان، وسوف تعود
 إلى دروسها اليوم. ولكن.. (يلتفت إلى
 حسان) حسان.. أرجوك أن تعتذر
 لمولانا الأمير باسمي. قل له: إنني
 منعت زرياب من الحضور لحاجة
 طبية خطيرة لها شأنها في الأندلس
 غداً.
 حسان : (بعد صمت قصير) حسن، سأفعل
 (ويخرج سريعاً)

زرياب : (لابن ناصح وما زال دهشاً) هل حاجتُكَ
 تمنعني عَنْ طلبِ الأميرِ حقاً؟!
 ابن ناصح : وهل كنتَ ترغبُ في الذهابِ حقاً!!
 زرياب : وما أدراك؟!
 ابن ناصح : وجهُكَ
 زرياب : (مضطرباً) ما بهِ؟!
 ابن ناصح : كان قاسياً، خائفاً.. وكانت عيناكِ
 جامدتين!!
 زرياب : كلُّ هذا؟!... اعذرني يابنَ ناصح،
 كنت خائفاً.
 ابن ناصح : لماذا؟!
 زرياب : لا أعرفُ ماذا يريدُ الأمير، وإن
 كنتُ أخافُ وشايةَ الغزالِ بي.
 ابن ناصح : إذنْ بقاؤُكَ أهمُّ مِنْ كلِّ شيءٍ. يا أبا
 الحسن، أَلَمْ تُخبرني ذاتَ يومٍ أَنَّ في

الغناء دواءً للمرضى؟؟!!

زرياب : بلى!!

ابن ناصح : واليومَ أحتاجُ إلى دوائِكَ!!

زرياب : أتريدُ أن تسمع غناءنا؟؟!! (يلتفت إلى تلاميذه..) اعزفوا لطبيبنا العظيم..

ابن ناصح : ليسَ لي. بل أريدُ أن أداويَ فتىً صغيراً مريضاً في روحه، وليسَ في جسده (يتجه نحو الباب ويهتف) ادخل يا أبا العباس.

**

المشهد الثامن

(يدخل رجل يسند فتىً صغير السن مريضاً. يندفع ابن ناصح ليساعد الرجل وهو يعين الفتى المريض).

زرياب : (يهتف) ساعدوهما - وافرشوا للفتى .. (يندفع إبراهيم ومنصور نحو الفتى ويحملانه، بينما حمدونة وسلمى

تجهزان فراشاً ومساند) ضَعُوهُ ههنا!!

أبو العباس : (بلهفة- لزياب) يا أبا الحسن، هو
ولدي. ساعدني على شِفائي أرجوك!!

زياب : كيف؟!!

ابن ناصح : مرضه في روحه كما أخبرتك!!

أبو العباس : والحنن يقتله بطيئاً بطيئاً!!

زياب : والسبب؟!

ابن ناصح : غرق أخوه في البحر فجأةً، وكانا
يسبحان...

زياب : (يطرق برأسه حزينا) البحر؟!! آه..

البحر الغدار.. (ثم يلتفت نحو ابن ناصح
ويسأله) يا بن ناصح، هل تثق
بموسيقانا وغنائنا؟!!

ابن ناصح : (بثقة) مَنْ لا يثق بموسيقا زرياب
جاهل. إنها فنٌ وعلمٌ!!

زرياب

: (مسروراً لهذا المديح) شكراً يا أخي.
(يتجه بحيوية ونشاط نحو تلاميذه الذين
استعدوا سريعاً ويكلمهم) هيا.. ندأوي
الداءَ بالداء، فلا يفِل الحديد إلى
الحديد (١٨). لِنَعْرِفْ، وَلْنُغْنِ أَغْنِيَةَ
البحرِ الغدَّارِ.

ابن ناصح

: صَدَقْتَ يا زريابُ. استعن بالله
وتوكل!!

زرياب

: بسم الله، وعليه توكلنا، (للجميع)
واحد... اثنان.

(تصدح الموسيقى بأسلوب تعبيرى، نسمع
أمواج البحر، ورشاش الماء المصطخب-
كل ذلك يجري دون أي وزن إيقاعي، ثم
يأتي الغناء ضعيفاً خافتاً من بعيد بعيد،
وكأنه قادم من المجهول أو أعماق البحر،
لكنه غناء رقيق ساحر، تمتزج فيه أصوات
النساء كأنهن حوريات البحار، بأصوات

الرجال، ثم يتناوبون الغناء كأنه آهات
حزينة)

المجموعة : آه... آه... آه

يا بحر الأسرار

يا غدار

يا عالي الأمواج

بالماء الرجراج

يا صاعقة النار

هدى إصارك

واكبج تيارك

وكفأك هياج

يا بحر

لا تسرق فرح العمر

مروان : (يتأوه بصوت واهن ضعيف) آه..

المجموعة : آه... آه... آه....

فالشيطانُ حكايا

مروان : آه..

المجموعة : والأمواجُ مرايا

مروان : (يصرخ مذعوراً) كلا..

الأمواجُ بلايا،

تَتَيْنُ مِنْ ماءٍ أَسْوَدُ

مَزْرُوعٍ بِالشَّرِّ

المجموعة : (وكانها ترد على الفتى)

لَكِنَّ الضَّحِكَاتِ الْأَحْلَى

فَوْقَ الرَّمْلِ الْبَارِدِ

رَشَّاشٌ مِنْ عِطْرٍ!!

(فجأة ينتفض الفتى وينهض، ويبدأ بالدوران، وكأنه يرقص في جلسة تحضير للأرواح. يزداد قرع الإيقاعات وتتأوب الأصوات بين القوة والليونة والطول

والقصر - وفي اللحظة نفسها يدخل الأمير
عبد الرحمن بن الحكم وخلفه يدخل الغزال
ثم حسان، ولكنهم جميعاً يتوقفون في
أمكنثهم دهشين مما يرون من صخب
راقص وموسيقا عنيفة. إنهم يسمعون نوعاً
جديداً من الغناء - ولأن الجميع منشغلون
بعلاج الفتى لا أحد ينتبه للقادمين - يتأوه
الفتى وهو يدور حول نفسه كأنه إحصار
وهو يهتف بألم، وبصوت ممدود ممطوط).

مروان : آ آ آ آ آ آ آ آ....

يا بحر

المجموعة (بقوة): يا بحر!!

مروان : لن تسرق مني الصبر

المجموعة (بقوة): لن تسرق مني الصبر

مروان (بتحد): لن تأخذ أحلامي

المجموعة (بقوة): يا بحر

مروان : وحلاوة أيامي

المجموعة (بقوة): يا بحر

مروان : (بإصرار، وهو يدرك الآن ما يقول، وقد

هذه التعب فصار يلهث)

لنْ أَشْرَبَ كَأْسَ الْمَرْ

ما دامت أنفاسي

تسري في إحساسي

إني أَتَحَدَّى الْقَهْرَ

المجموعة : ما دامت هذي الأوتار

تصفو بجمال الأشعار

ما دامت هذي الدنيا

تحلو بعبير الأزهار

وأنشيد الطير

مروان (برقة) : يا بحر

المجموعة : بحر الخير

مروان

: (يمد صوته واضحا طليقا فرحا خالياً من
كل ألم برقة)
يا بحر الخير

المجموعة

: (كأنها تتادي البحر حقيقة، وبصوت
قوي، تصدح فيه أصوات المغنيات)
يا بحر الخير

(تزداد سرعة الإيقاعات وحيوية ونشاط
الموسيقا، ومروان يرقص وفرقة الرقص
تشاركه- وفي لحظة حاسمة يفرد مروان
ذراعيه على امتداد كتفيه كأنه عصفور
ويدور، يدور والابتسامة تعلو شفثيه،
ويطفح وجهه بالفرح، ثم فجأة يسقط على
ركبتيه مجهداً تعباً- في اللحظة نفسها يندفع
الطبيب ابن ناصح ويحضن مروان من
خلف ظهره ويشده إليه بقوة).

ابن ناصح

: أحسنت يا مروان.. كنت رائعاً...
(صمت شبه طويل- لا يرد مروان-

الجميع يراقب الموقف - يتابع ابن ناصح
مروان... كنت رائعاً.. أستمعني؟!!!

مروان : (بحنان - وهذوء كأنه يحلم) ياه...
واسمع صوت البحر الجميل..

ابن ناصح : بلى.. إنه جميل!!

مروان : أين أبي؟!!

أبو العباس : (يندفع سريعاً ويركع أمام مروان
ويضمه إلى صدره فرحاً) أنا فداؤك يا
ولدي!!

مروان : أنا كالفراشة، كالعصافير، أحبُّ أنْ
أطير... أطير... أطير...

أبو العباس : (بيكي من الفرح) وأنا سأطيرُ
معك...

(زرياب يعطي إشارة للفرقة الموسيقية
التي تعزف موسيقاً ناعمة تغمر الموقف
بحنان وهي تعبّر عن هذا الحلم الجميل..

يلتفت أبو العباس نحو ابن ناصح
شكراً لك يا بن ناصح، شكراً لك.
ابن ناصح : بل الشكرُ لله أولاً، ولزريابَ ثانياً،
لأنَّ له الفضلَ الأول.
أبو العباس : (لزرياب) يا أبا الحسن، رُوحِي لَكَ
فداءً، فاطلب!!
زرياب : (بهدهوء وسكينة) أدْعُ لي أن ينجيني
الله من الأشرارِ يا أخي!!
أبو العباس : (بصوت مليء بالحنان والبكاء)
اللهمَّ صُنْ زريابَ عليَّ بنَ نافع،
واحفظهُ من الأشرارِ والحاسدينِ يا
ربَّ العالمين!!

**

المشهد التاسع

(فجأة- لم يعد الغزال قادراً على ضبط نفسه- يندفع ويصرخ)

الغزال : أُرِيتَ يَا مَوْلَايَ (بسخرية) شَعْوَذَةً
ودجلاً. تَطْلُبُ زُرْيَابَ فَيَتْلَهَّى عَنْكَ
بالشعْوَذَةِ والسحر الحرام.

زُرْيَاب : (يفاجأ الجميع بالأمير وبكلام الغزال-

يتقدم الأمير عبد الرحمن وخلفه قليلاً
الغزال) مولاي الأمير ابن الحكم في
معهدي؟! يا أهلاً.. ويا مرحباً!!

الغزال : مشعوذٌ دَجَالٌ!!

ابن ناصح : عَفْوَكَ يا مولاي!!

عبد الرحمن : ماذا يا بن ناصح؟!

الغزال : (صارخاً) اسكت أنت يا بن ناصح،
لأنك مشعوذٌ مثله!!

عبد الرحمن : (للغزال) كفى يا غزال!!

زرياب : اعذرني يا مولاي الكريم، وقد
رأيت بعينيك ما أخرتني عنك، وها
إني مستعدٌ لسماع حكمك!!

عبد الرحمن : ما رأيك يا غزال؟!

الغزال : (بحقد) نحاكمه!!

زرياب : أرجوك يا أمير، حاكمني أنت

فأرضى بحكمك لأنك عادلٌ.

عبد الرحمن : أتداوي بالموسيقا يا بن نافع؟!

زرياب : حين لا يكونُ المرضُ، أو الداءُ في عضوٍ من أعضاء البدن، يكونُ في النفسِ والروح. كآبةٌ وهمومٌ، وأحزانٌ، فنداوي ذلك بالموسيقا. هكذا علّمنا أساتذتنا يا مولاي!!

عبد الرحمن : وماذا يقولُ ابنُ ناصح؟!

ابن ناصح : ما قاله أبو الحسن هو العلمُ يا مولاي!! فأنقذنا بذلك فتىً تحتاجُهُ الأندلس!!

عبد الرحمن : إذنُ فاسمَعْ حكْمِي يا زريابُ وقد رأيتُ بعينيَّ ما أدهشني..

أبو العباس : (يندفع ويركع أمام الأمير متوسلاً) لا... لا.. اسمعني يا أميري. تأخرَ زريابُ عنكَ بسببٍ ولدي، ولذا.. فأنا له فداءٌ،

فاحكم عليّ أنا، ودعه للأندلس.

عبد الرحمن : اسمعوا جميعاً. والله الذي لا أعبدُ
إلهاً سواه، لو كنت جئتني يا زريابُ
وتركتَ هذا الفتى تنهشه آلامه،
فعلمتُ أنا بذلك، لكنتُ حكمتُ عليكِ
بالحبسِ مدى عُمرِكَ. أمّا وقد فعلتِ
ذلكَ فإنني أَمْنَحُكَ ألفَ دينارٍ هديةً
على علمِكَ ورحمتِكَ، وألفَ دينارٍ
مثلاً لطبيبنا ابنِ ناصح. (التلاميذ
يصفقون بحرارة..)

الغزال : (مصعوقاً من موقف الأمير) أتكافئه يا
مولاي؟؟!!

عبد الرحمن : أتريدني أن أعاقبَ عالماً أنقذَ حياةَ
إنسانٍ عليلٍ يا غزالُ؟؟ هل خلا قلبُكَ
من الرحمة؟؟!! اسمع.. ما دام تأخرَ
زريابُ عني رحمةً بالناسِ فإنّ ذلكَ

مفخرةٌ لنا جميعاً. أمّا وأنه كان يُغني
لبغدادَ دونَ قرطبةَ فذلك حقّه يا
غزال، أم نسيتَ أنّنا نشتاقي إلى الشامِ
وأهلها، أليست هي ديارنا الأولى يا
غزال؟؟!!

(فجأة يخاطب الغزال بقسوة)
انصرف، ودعني مع هؤلاء العلماءِ
الأفاضل، أتعلّم منهم ما ينفعُ الناسَ
فيبقى لي عندَ الله. هيا.

الغزال : حاضر. (ويندفع نحو الباب، ثم يتوقف
مطرقاً برأسه إلى الأرض).

عبد الرحمن : ما بك؟؟!!

الغزال : (وكأنه يعتذر - يتقدم قليلاً ثم يلقي شعراً
اخترعه الآن..)

سَامُضِي لَا أَعُودُ يُعَذِّبُنِي الصُّدُودُ

عبد الرحمن : إمضِ إذن!!

الغزال : (دهشاً من إجابة الأمير الحازمة)
أَتَسْتَغْنُونَ عَنِّي بَعْدَ لَا يُفِيدُ؟!!

عبد الرحمن : بلى نستغني عنك!!
الغزال : (بدهشة، ولكن برجاء)
أَيُّطْرُدُنِي أَمِيرِي وَشِعْرِي فِيهِ عُوْدُ؟!

عبد الرحمن : يا غزالُ أليسَ العودُ لا يُفِيدُ؟!
الغزال :
إِذَا زَرِيَابُ غَنَّى بِأَشْعَارِي يَجُودُ
زرياب : وبأشعار غيرك يا غزال، لكنك
نسيتَ ألحاني!!

الغزال :
يُغْنِيهَا فَتْرَهُوَ كَأَنَّ الْيَوْمَ عِيدُ
فَعُذْرًا يَا رِفَاقِي مَحَبَّتَكُمْ أُرِيدُ!!

عبد الرحمن : (يضحك، ويضحك معه زرياب) أنتَ
ذكيُّ يا غزال، إرجِعْ إلينا... إرجِعْ
(يعودُ الغزال ويقف بجانب الأمير) ما
تقولُ يا أبا الحسنِ؟!

زرياب : ما يقولُ مولانا نقولُ. (وهو يقدم
للأمير عوده الخاص) أرجو يا مولاي
أن تقبلوا هديتي المتواضعة.

عبد الرحمن : أتُهديني عودك؟!

زرياب : عودُ زرياب لا يخلو على مولانا
الأمير. فيصيرُ لديه جوهرتان؛ شعْرُ
الغزالِ وعُودي!!

الغزال : (مسروراً) الله، الله (لزرياب) لقد
غلبتني يا أبا الحسن!!

عبد الرحمن : (ينظر إلى العود دهشاً) ما هذا؟!.. إنه
بخمسة أوتارٍ يا بن نافع؟!

زرياب : أضفتُ بنفسِي وترًا خامساً بعدَ أن

كانوا أربعةً، ولهذا تسمعُ يا مولاي
غناءً جميلاً وعزفاً مُعبراً!!
عبد الرحمن : أحسنتَ يا بنَ نافعٍ!! جزاك اللهُ عنا
كلَّ خيرٍ.

زرياب : (وهو يقدم ريشة نسر) وهذه مَعَهُ.
ريشة نسرٍ بدلَ مضرب الخشب.

عبد الرحمن : (وهو يتأمل الريشة بفرح ودهشة) لله
درُّكٌ، تخترعُ لنا المآكلَ والمشاربَ،
وتعلِّمنا لبسَ الملابسِ حسبَ الفصولِ،
وتداوي بالأنعام والألحانِ المرضى،
وتضيف وترّاً خامساً للعودِ، وغيرُ
ذلك كثيرٌ حتى تجرأتَ على النسورِ
الكواسِرِ فجعلتَ ريشَها للأنعامِ
الجميلة، فماذا نكافئك؟!

زرياب : بالرّضى عما نفعلهُ في سبيلِ
الأندلس!!

عبد الرحمن : قد رَضِينَا، وَبَعْدُ؟؟!!
زرياب : بالأمانِ لي، ولأولادي، ولتلاميذي،
ومعهدي!!

عبد الرحمن : لك ما طلبتَ يا أبا الحسن، مادامَ في
قرطبة رجلٌ عظيمٌ مثلكَ فإنها عظمى
بإذنِ الله!! (يلتفت إلى الغزال) يا غزال..

الغزال : مولاي!!
عبد الرحمن : أنشدنا شعراً على ألحانِ موسيقارِ
الأندلس!!

الغزال : حباً وكرامةً. (ينهض بحماس ويلقي
شعراً)

هل لنا في الناسِ ناصحٌ لا يُماري^(١٩) في

صادقٍ دوماً وطافحٍ وجهه بالابتسامِ

إن ظلمناه يُسامحٍ لا عتابٌ أو ملام؟؟!!

(تصّح الموسيقى- ويسود الغناء والرقص الجميلان-
ويتناوب زرياب وهو يعزف على العود الغناء مع ابنته
حمدونة أغنية الصلح والختام يجلس الأمير والغزال)

زرياب:

يا نسيماً في خميلة هل تجود

بالصفا المعهود؟!!

تلکم الدُّنيا الجميلة لا تعود

دون صوتِ العود

فارسلوا الألمان

المجموعة:

هاتوا شادينا في ليالينا

عزف أوتار

حمدونة:

لا يُبارِينَا فِي أَغَانِينَا
غَيْرُ أَطْيَارِ

زرياب:

فَاغْزِلُوا الْأَحْصَانُ مِنْ هَوَى الْأَوْطَانِ
يَا مَغْنُونَا

المجموعة:

الْوَفَا فِي طَبَعِنَا غُنَّوَانُ
وَالصَّفَا فِي رُوحِنَا رِيحَانُ

زرياب:

وَالْهَوَى فِي قَلْبِنَا مِيزَانُ

المجموعة : والوطن؟!
زرياب : حُبُّ الوطن
حمدونة : إيمان
المجموعة : حُبُّ الوطن
إيمان
زرياب : حُبُّ الوطن...
إيمان
(ينهض الأمير عبد الرحمن والغزال
ويشاركان الجميع بهذا النشيد الاحتفالي
العظيم عن الوطن)
الجميع : حُبُّ الوطن
إيمان.....

النهاية

■ الهوامش:

- ١- إسعفيني: أَسْعَفَ يُسْعِفُ = أَنْقَذَ، يُنْقِذُ. أَنْقَذَنِي وداويني.
- ٢- سهادي: قلة نومي، وسهر الليل.
- ٣- إسحاق الموصلي: ولد عام ٧٦٧ م وتوفي عام ٨٥٠ م هو موسيقار وأديب من موسيقيي العصر العباسي الأول. كان موسيقي الخليفة هارون الرشيد، وهو أستاذ زرياب.
- ٤- هارون الرشيد: ولد عام ٧٨٦ م وتوفي عام ٨٠٩ م هو الخليفة العباسي العظيم. اتصل بملك فرنسا شارلمان. كان عالماً ومتقفاً. ازدهرت في عصره التجارة والآداب والعلوم والفنون.
- ٥- إبراهيم بن المهدي: ولد عام ٧٧٩ م وتوفي عام ٨٣٩ م هو أخو هارون الرشيد أديب وشاعر وموسيقي بارع أسس مدرسة حديثة في الموسيقى نافس بها مدرسة إسحق الموصلي.
- ٦- أبو نواس: ولد عام ٧٥٧ م- توفي عام ٨١٤ م هو الحسن بن هانئ. من كبار شعراء العصر العباسي الأول- قرّبه هارون الرشيد منه وجعله الخليفة الأمين شاعره.
- ٧- زاع: مال وانحرف واضطرب.
- ٨- مجيري: مساعد، والمدافع عني.
- ٩- سميري: هو من يسهر معي طوال الليل ويحدثني أحاديث

- مسلية ممتعة.
- ١٠-العَفْقُ: الشدّ والضربُ على الأوتار بالأصابع أو بالريشة.
- ١١-الحساسين والكناري: طيور جميلة الشكل والصوت كالبلابل.
- ١٢-الكوز: إناء كالإبريق لكنه أصغر منه يستعمل للماء ولغيره.
- ١٣-رياض الآس: حدائق دائمة الخضرة. والآس نبات يعيش في الجبال وهو دائم الخضرة، لا يذبل في كل الفصول. يستخدم في سورية لتزيين قبور الموتى.
- ١٤-نادينا: اجتماعنا، أو مكان اجتماعنا (النادي) وهو للأصحاب والأصدقاء.
- ١٥-حاديننا: الحادي هو المطرب- مطربنا في الرحلة.
- ١٦-مآقينا: المآقي مجاري الدمع في العيون. وتدل هنا على البكاء.
- ١٧-الشطائر: الفطائر باللغة الدارجة.
- ١٨-لا يقل الحديد إلا الحديد: مثلّ عربي مشهور، أي لا يكسر الحديد ولا يلينه سوى الحديد نفسه.
- ١٩-يُماري: يجادل ويناقش وينازع في الكلام كثيراً دون فائدة.
- عن قاموس المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق- بيروت-

ط٢٦.

الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ

مسرحية شعرية
موسيقية دعائيّة للأطفال

من ١٢-١٤ سنة



الإهداء:

إلى أطفال المقاومة العربية،
الطير الأبايل
في الجولان السوري
جنوب لبنان
فلسطين العربية
أحفاد نبوخذ نصر
العربي البابلي

تقديم

أعزائي الأطفال:

قبل ألفين وخمسمائة سنة قبل الآن تأمر اليهود ضد الدولة العربية البابلية لضرب تجارتها وقوتها، فتحالفوا مع أعدائها لذلك. ورداً على هذا التآمر قام ملوك عرب بابلين منهم (سرغون الثاني) بتهديم مملكة السامرة اليهودية عام (٧٢١) قبل الميلاد. لكن هؤلاء الأشرار عادوا إلى تأمرهم.

وحين تسلّم (نبوخذ نصر) مملكة بابل العظيمة قام بضربته العنيفة لليهود المتآمرين ضد دولته، فجاء إلى فلسطين بجيوشه الجرارة. وبعد أن تجاوز بحيرة قطينة

في حمص، توفَّ في بلدة (أكروم) اللبنانية المطلَّة على
تلك البحيرة، وحفرَ على صخرة في جبلها وعداً عظيماً
قطعه على نفسه يقولُ فيه: ^(١)

(أنا الملكُ العظيمُ نَبُوخَذَنَصَّرُ.

سأشتتُ اليهودَ،

وسأجعلُ من ديارهم مَنَاحاتٍ للثكالي، ^(٢)

لأنهم أعداءُ لأنفسهم،

وأعداءُ للناس).

وما يزالُ هذا النقشُ موجوداً حتى الآن، ويعرفُهُ
النَّاسُ باسم (شير الصنم). ولقد وفي هذا الملكُ بوعدِهِ
فدمَّرَ مملكة اليهود وساقهم أسرى إلى بابلَ يعملونَ فيها
عبيداً وخدماءً لأكثرَ من (٧٠٠) سنة.

وحينَ أرسلَ اللهُ عيسى المسيحَ نبياً تامراً اليهودُ مع
الرومانِ فصلبوه وقتلوه فكان نبياً شهيداً.

(١) عن مجلة سومر: العدد ٢١ - عام ١٩٩٩ - ص ٢٣.

(٢) الثكالي: جمع، مفردهما ثكلى وهي صفة للأُم التي تفقد ولداً لها
في حرب.

ولمّا ظهر الإسلامُ تأمرَ اليهودُ عليه وعلى الرسولِ
الكريمِ حتى اضطرَّ النبيُّ (ص) إلى محاربتهم وطردهم
منَ المدينة المنورة فطهرها منهم. لقد كان اليهودُ -وما
يزالون- أعداءً للإنسانية ولأنفسهم كما قال نبوخذ نصر.
أمّا القديسُ (يوحنا المعمدان) فقد خاطبَ اليهودَ قائلاً
لهم: (٣)

(يا أولادَ الأفاعي، مَنْ عَلَّمَكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الغضبِ
الآتِي. اثمروا ثماراً جديرةً بالتَّوبَةِ... فكل شجرة لا تُثمرُ
ثمراً طيباً تقطع وتلقى في النار).

أترونَ يا أصدقائي الأطفال: إنَّ عمرَ الصِّراعِ
العربيِّ الصهيونيِّ ليسَ منذُ خمسينَ سنةً فقط، بل هو منذُ
أكثرَ منَ (٢٥٠٠) سنةٍ على الأقل.

إنَّ هذه المسرحيَّةَ (الطيرُ الأبايل) مسرحيَّةٌ
تحريضيةٌ، دعائيةٌ، كتبَتْها لكم شعراً لتغنوها وتتشدوها
بمصاحبة الرِّقَصِ التعبيريِّ. ولقد استوحيتُ واستلهمْتُ
(سورة الفيل) منَ القرآنِ الكريمِ التي تتحدَّثُ عن غزوِ

(٣) مجلة سومر: العدد نفسه - ص ٢٧.

(أبرهة) ملك الحبشة للكعبة المشرفة وهزيمته، إضافةً إلى أحداثٍ من التاريخ العربيّ منذُ البابليين وحتى الآن، وبخاصّةٍ بطولاتِ أهلنا ورفاقنا الأطفالِ في الجولانِ العربيّ السوريّ والمقاومةِ في جنوبِ لبنانَ وانتفاضةِ الأقصى المباركة، وبطولاتِ الطيّرِ الأبايلِ أطفالِ ثورةِ الحجارةِ المباركةِ العظيمةِ في فلسطينَ العربيّةِ المحتلّةِ.

**

* الشَّخصيات:

أولاً : العربُ الفلسطينيُّون

- ١- المرأة الأولى + الثانية + الثالثة
- ٢- المرأة العجوز
- ٣- الطفل الأول + الثاني + الثالث + الرابع
- ٤- الرجل العجوز
- ٥- الطفلة الأولى + الثانية + الثالثة

٦- المرأة الأم

٧- مجموعة نساء وأطفال ورجال شيوخ

ثانياً : الإسرائيليين

١- الجنود : الأول - الثاني - الثالث - الرابع

٢- الحاخامات : الأول - الثاني - الثالث - الرابع

ملاحظة:

الحاخامات : جمع مفرد لها حاخام بالعبرية وتعني الحكيم.
وهو رجل الدين اليهودي.

المشهد الأول

(المكانُ بَرِّيَّةٌ قَفْرَاءُ إِلَّا مِنْ الْأَشْوَكِ
والْحِجَارَةِ. وَالشَّمْسُ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ تُحْرِقُ
الْوُجُوهُ.

مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ الْمَطْرُودِينَ
مِنْ قُرَاهُمْ الَّتِي دَمَّرَهَا الصَّهَابَةُ تَحِطُّ
رِحَالُهَا هُنَا. لَقَدْ أَنْهَكَهُمُ السَّيْرُ الطَّوِيلُ،
وَنَالَ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ وَالتَّعَبُ-

أطفالٌ يبكون...
في مقدّمة المجموعة رجلٌ عجوزٌ يتوكأُ
على عُكازٍ من غصن شجرة.
وفجأةً تدوي صرخةٌ لامرأةٍ شابةٍ كانت
تجرُّ نفسها جرّاً، وتسقطُ نحو الأرضِ

المرأة ١ : (صارخةً) آآآآآ...٥

(تندفعُ بعضُ النسوةِ نحوها وهُنَّ يصرخنَ
ويُولولنَ)

المرأة ٢ : ماءٌ...٥

ماء..٥

هاتوا ماءً!!

(تتقدّمُ امرأةٌ عجوزٌ محنيّةُ الظّهرِ بحركةٍ
نشيطةٍ وتدفعُ النساءَ بيدها، وتصرخُ فيهنَّ
وبالأطفالِ)

المرأة العجوز: ابتعدي..
هيا..
ابتعدوا
(يبتعدُ النَّاسُ عنِ المرأةِ الأولى، فتتابعُ
العجوزُ)
أكثر..
أكثر..
خلوها يا ناسُ
تتنفسُ
طفل ١ : (يتقدمُ مُسرِعاً منَ الخلفِ، ويمدُّ يدهُ
بمطرةِ ماءٍ)
الماء...
(المرأةُ الثَّانِيَةُ وهي ترتجفُ، تتناولُ مِنْ
الطفلِ مطرةَ الماءِ
وتتحني فوقَ المرأةِ الأولى لتسقيها..)

المرأة العجوز: مهلاً...

المرأة ٢ : هي عطشانة

المرأة العجوز: أعرف

وأنا أيضاً عطشانة

والأطفال، وأنتِ

المرأة ٢ : هل اسقيها قطرة؟!

المرأة العجوز: اسقيها، لكن بهدوء!!

(المرأة الثانية تبدأ بسقي المرأة المريضة،

وتمسح لها وجهها بالماء - يتقدم الرجلُ

العجوز مرتبكاً ويسأل)

الرجل العجوز: ماذا يجري

هل مات أحد؟!!

المرأة العجوز: فالُ الله ولا فالُك!!

دَعْنَا نَأْخُذَ بَعْضَ الرَّاحَةِ

ما عدنا نتحملُ أكثرَ

(تنتفضُ المرأةُ الثانيةُ وتندفعُ نحو الرجلِ
العجوز وهي ترتجفُ)

المرأة ٢ : بل نمشي يا جدِّي أسرعْ،

نمشي أسرعْ

حتَّى لا يَدهمنا العسكرُ^(٤)

إني خائفةٌ، مرعوبةٌ

الرجل العجوز: إنَّكَ دوماً مرعوبةٌ.

قلبك منْ برغشةٍ يتصلَّبُ

المرأة ٢ : (بثقة) بل قلبي لا يكذبُ.

لا يكذبُ!!

(وفجأةً تبدأُ المرأةُ الثانيةُ بالدورانِ حولِ

نفسها وهي ترفعُ رأسها نحو الأعلى، ثمَّ

تستلقي على الأرضِ واضعةً أذنها فوق

الترابِ الملتهبِ وتتصَّتُ وسطَ دهشةٍ

الجميع - الرجلُ العجوزُ دهشاً أيضاً)

(٤) يدهمنا: يفاجئنا ويهجم علينا الجنود الصهاينة.

الرجل العجوز: ماذا يَجْري؟!
المرأة العجوز: دعها تُفرِّغْ مَنْ داخلها
بعضَ الخوفِ وبعضَ الذُّعرِ
المرأة ٢ : (بذعر) إني أسمعهم!!
المرأة العجوز: مَنْ هُمْ؟!
المرأة ٢ : العَسْكَرُ.
إني أَبْصِرُهُمْ آتِينَ إِلَيْنَا
ببِئَادِقِهِمْ، بِقَنَابِلِهِمْ
بِالْشَّرِّ الْأَكْبَرِ
(تنهضُ مذعورةً وتدورُ بَيْنَ النَّاسِ وهيَ
تصرخُ بصوتٍ مخنوق)
مَنْ يَحْمِي أبنائي مِنْهُمْ؟!
مَنْ يُنْجِينَا مِنْ غَضَبِهِمْ?!
مَنْ؟! ... مَنْ?!
(وتُجْهِشُ في بكاءٍ طویلٍ، وهيَ تحضنُ

طفلها الوحيد، وحواليها بناتها الخمس).
الرجل العجوز: هذي المرأة مجنونة.

تصرخ في وجهي،
تتهرني^(٥)

المرأة العجوز: بل هي أعدل منك ومّني!!
(وتتجّه المرأة العجوز نحو المرأة الثانية،
تحضنها وتهدئها وتشجعها)
أعرف أنك أقوى من كل النسوة.
أعرف أنك لا تخشين على نفسك،
بل تخشين على خمس بناتٍ
ووحيدك
سمي باسم الله
وأخزي الشيطان الملعون.

(٥) تتهرني: تزجرني وتصرخ في وجهي. ومنه الآية الكريمة (وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ). من سورة الضحى.

المرأة ٢ : باسم الله،

باسم الله،

لكنَّ العسكرَ اتُّونَ.

(كأنها تحاول أن تقنع المرأة العجوز

بصواب رأيها)

إني أسمعهم.

إني أسمعُ صوتَ بنادقهم

وأحسُّ فظاعةَ شهوتهم للدمِّ

المرأة العجوز: (وهي تهدئها وتضمُّها، وتهمسُّ لها

بحنان)

بعدَ قليلٍ نرحلُ.

فلنأخذُ بعضَ الراحةِ

تسقين الأولادَ جميعاً

وعلى الله

نتوكَّلُ

المرأة ٢ : (تطيعُ بشكلٍ آليٍّ وهي تهزُّ رأسَهَا)

حاضِرٌ ... طيِّبُ

(تنهضُ المرأةُ العجوزُ نحوَ المرأةِ الأولى،
بينما تسقي المرأةُ الثانيةُ أولادَهَا..)

المرأة العجوز: (للمرأة الأولى)

كيفَ الحالُ الآن؟!!

المرأة ١ : أفضلُ ...

لكنَّ الدَّوخةَ تفرِّعُني،

والغثيانُ^(٦)

يا جدَّةُ

قدُ أتعبني

المرأة العجوز: (بدهشةٍ مخلوطةٍ بابتسامةٍ وسُرورٍ)

هل قُلْتَ الغثيانُ؟!

(٦) الغثيان: هو شعور الإنسان بأنه سوف يُفرِّغُ ما في جوفه من طعام وشراب.

هل قلتِ الدَّوْحَةَ؟!؟
(يعلو صوتها من الفرح - تُشجِّعُها)
منذ متى؟! قولي
المرأة ١ : من أيَّامٍ، وأنا...
المرأة العجوز: (تُقاطِعُها) حَامِلٌ!!
(بفرح) إِنَّكِ حَامِلٌ...
(تتنظرُ المرأةُ الثَّانِيَّةُ إلى العجوزِ بدهشةٍ..)
المرأة ٢ : حَامِلٌ؟!؟
والعَسْكَرُ؟!؟
المرأة العجوز: يا فرحتنا...
يا نسوانُ
أطلقن زغاريدَ الفرحِ
لعروستينا
(تنطلقُ الزَّغَارِيدُ، وتتقدَّمُ النِّسَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ
الأولى يباركنَ لها - ومن بين النساءِ مُعَلِّمَةٌ

مدرسة تُرافقُ المطرودين وتُعلمُ الأطفالَ
في أوقاتِ الرَّاحةِ)

المعلمة : سوفَ يجيءُ صبيُّ بطلٍ

ويُحاربُهُم.

يأخذُ ثأراً أبويه

وجده

فيُشرِّدُهُم!!

ويُخلصُنَا منهم!!

(فجأةً تدويُّ أصواتُ رصاصٍ قريباً منَ

المكانِ - الجميعُ في ذُهلٍ - يتكوَّمُ بعضهم

على بعضٍ - صمتٌ فظيعٌ...)

المرأة ٢ : (تصرخُ) قلتُ لكمُ

ما صدَّقْتُم

قلتُم: إني مجنونةٌ

تخشى العسكرَ...

ها قد جاء الآن صهاينة البربر!!
المعلمة : (تُحمسُهُم) لنُقَاوِمُهُم.
لنُقَاتِلُهُم.
الرجل العجوز: الأفضل أن نتحاشاهم
حتى نَسَلَمَ،
فلدينا أطفالٌ
وعجائزٌ،
والأَسَلَمَ
أن نمشي الآنَا
كي لا نندم!!
من يدري
ماذا يجري!!؟
إنَّ اللهَ هُوَ الأعْلَمُ!!
المعلمة : ما يجري نعرفُهُ،

حربٌ وُقِتالُ.
بلْ هيَ معركةٌ
يسقطُ فيها شهداءُ أبطالُ
الرجل العجوز: (يحاولُ أنْ يُقنِعها بهدوءٍ)
يا بنتي..

المعلمة : يا جدِّي
اسمعني.

هيَ حربٌ منْ عهدِ نبوخذ نصرٍ
نتوارثُها جيلاً عنْ جيلٍ
سأعلمُ أطفالي
ما قدْ فعلَ اللهُ
بالأفيالِ،

وبأصحابِ الفيلِ
(تزدادُ أصواتُ الرِّصاصِ وتقتربُ-
تصرخُ المرأةُ الثانيةُ)

المرأة ٢ : فَلْنَرَحُلْ.

هَيَّا نَرَحُلْ

الرجل العجوز: (لجميع) هَيَّا، قُومُوا.

(ينهضُ الناسُ ببطءٍ لأنَّهم ما زالوا
تعبين - فيصرخ العجوزُ)

أَسْرِعْ

أَسْرِعْ

(وبينما يتحرَّكُ الناسُ وهمُ يجمعونَ
حوائجَهُمُ للمسيرِ تُسمَعُ أصواتُ الأطفالِ
مختلطةٌ بصوتِ المعلمةِ وهمُ يرتلونَ سورةَ
الفيل، حتى يشاركهم الجميعُ بمنْ فيهمُ
الرَّجُلُ العجوزُ)

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
الْفِيلِ. (٧)

(٧) أصحاب الفيل: هم أبرهة ملك الحبشة و جيوشه وأمرأؤه.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ،
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ،^(٨)
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ،^(٩)
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ،^(١٠)
(يَصْبِحُ تَرْتِيلُ السُّورَةِ بِشَكْلِ جَمَاعِيٍّ قُوَّةً
تَمَكِّنُ النَّاسَ مِنْ مَلَاقَاةِ الْجُنُودِ الصَّهَّائِنَةِ مِنْ
دُونِ رُعْبٍ أَوْ خَوْفٍ..
وَلِهَذَا تَزْدَادُ قُوَّةُ الصَّوْتِ كُلَّمَا عَاوَدَ النَّاسُ
قِرَاءَةَ السُّورَةِ..)

* *

^(٨) طَيْرًا أَبَابِيلَ: طيور تأتي جماعات متفرقة ومتتابعة وراء بعضها بعضاً.

^(٩) مِنْ سِجِّيلٍ: مِنْ طِينٍ مَتَحَجَّرَ مَحْرُوقٍ وَمَشْوِيٍّ بِالنَّارِ. وَهُوَ الْأَجْرُ.

^(١٠) كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ: الْعَصْفُ هُوَ التَّنْبَنُ طَعَامُ الْحَيَوَانَاتِ. وَهُوَ مِنْ بَقَايَا سَوِّقِ الْقَمْحِ أَوْ الشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا. تَأْكُلُهُ الْحَيَوَانَاتُ وَقَدْ بَالَتْ عَلَيْهِ وَدَاسَتْهُ بِأَقْدَامِهَا.
وَالْقِصَّةُ هُنَا عَنْ غَزْوِ الْأَحْبَاشِ لِتَهْدِيمِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

المشهدُ الثاني

(يدخلُ الجنودُ الإسرائيليونَ بأسلحتهمُ
وهمُ ينشدونَ أغنيةً عن تاريخِ اليهودِ
بعنصريةٍ ووحشيةٍ)

الجنود : نحنُ الأقوى، نحنُ الأبقى
نحنُ الجيشُ الجرّارُ

نحنُ الأتقى بين الأمم^(١١)
نحنُ الإِعمارُ، النارُ.
جنُّنا للأرضِ الموعودة^(١٢)
ريحا، عاصفةً، ورعوداً
لنعيدَ المجدَ لهيكلنا^(١٣)
وجدارَ المبكى، ويهوداً^(١٤)
فانظرْ شعبك يا يهوَه^(١٥)

^(١١) يدّعي اليهودُ كذباً أنهم أنقى دمٍ في العالم لأنهم شعب الله المختار، وهذا كذب.

^(١٢) الأرضُ الموعودة: أو أرض الميعاد، هي فلسطين. يدعي اليهود أن (يهوه) أعطاهم لها ولأولادهم من بعدهم، حسب ما ورد في التوراة.

^(١٣) الهيكل: هو بيت لرب إسرائيل، بناه النبي سليمان.

^(١٤) جدار المبكى: أو حائط المبكى الذي يقصده الإسرائيليون للصلاة والتكفير عن الذنوب.

يهودا: هي مملكة القدس (أو耶شليم) مدينة السلام.

^(١٥) يهوَه: إله الإسرائيليّين. وهو إله الحرب والجنود والنار.

جيشاً يفعلُ ما تهوى.
نفني العرباً
ونُشرُّهُمْ أُمَّ وأباً،
طفلاً كي لا يُشعلَ حرباً.
فلدينا جيشٌ جرّارٌ
والحقُّ لدينا أنهارٌ
نحنُ الشعبُ المختارُ^(١٦).

^(١٦) يعتقد اليهود أن الله اختارهم وفضلهم على غيرهم. وهذه
عنصرية واضحة.

المشهدُ الثالث

(يدخلُ أربعةُ رجالٍ دين يهودٍ
(حاخامات) مدجَّجونَ بالأسلحةِ
والقنابل - إنَّهم يرقصون بوحشيةٍ وهم
يعلنون وصايا الربِّ يهوهُ المتعلِّقةَ بقتلِ
الغرباءِ وبخاصَّةِ العربِ الكنعانيين)

الحاخامات : رَبُّ يَهُودَا يَأْمُرُ جَيْشَهُ

بالتدمير وبالتخريب
وبتهديم بيوت العرب
بالتشريد وبالتعذيب
وبقطع الغابات جميعاً
كي لا تخفي أيّ غريب.
الغرباء
عرب ككلاب جرباء
ليهودا دوماً أعداء

حاخام ١ : (يخاطبُ الجنودَ الإسرائيليّين وهو يشيرُ

إلى العربِ الفلسطينيّين)

فلنحرق زرعهمُ

ولنسرق أنهارَ الماءِ

حاخام ٢ : ولنطرُدْهُمْ كالفئرانِ

إلى الصّحراءِ.

حاخام ٣ : الأرضُ لنا

حَاخَامُ ٤ :

والماءُ لنا :

الحَاخَامَات :

ولنا كُلُّ الأنحاءِ

(ويوجِّهونَ يواريدهم نحوَ العربِ...)

ما أَحَقَرَهُمْ مِنْ غُرَبَاءُ

سُحُقًا سَحَقًا لِلْغُرَبَاءُ

(وبحركةٍ مَبَاغِتَةٍ مفاجئةٍ يقوم الجنود

بتحطيمِ أوانيِ الماءِ وسلالِ الطعامِ وهم

يضحكونَ كالوحوشِ)

الجنود

: ها هُمْ جَوْعَى وَأَذْلَاءُ

عطشى ليسَ لديهم ماءٌ

لا غاباتٌ تحميهم

لا جدرانٌ تُؤويهم

الأشجارُ قطعناها

والأحراشُ حرقناها

وجعلناها كالصحراءِ

ما أَحَقَرَهُمْ مِنْ غُرَبَاءَ!!
حَاخَام ١ : (للعرب) سَنُشَرِّدْكُمْ
 يَا أَسْلَافَ مَعَدٍّ^(١٧)
 يَا نَسْلَ الشَّيْطَانِ
 مِنْ عَدْنَانَ^(١٨)
 إِلَى قَحْطَانَ^(١٩)
 لَنْ يَبْقَى أَحَدٌ مِنْكُمْ
 فِي أَرْضِ سَلِيمَانَ
 هَذِي أَرْضُ يَهُودَا
 مِنْ قَبْلِ التَّارِيخِ

^(١٧) مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ: جد جاهلي. نشأت منه بعض القبائل العربية شمالي جزيرة العرب.

^(١٨) عَدْنَانَ: من أبناء إسماعيل بن إبراهيم. وعَدْنَانَ هو أبو العرب الشماليين جميعاً.

^(١٩) قَحْطَانَ: هو أبو القبائل العربية في اليمن. واسمه في التوراة: (بِقْطَان).

من قبل الأَزمان.
فامضوا نحوَ خيامِكُم وارعوا الغنما
عيشوا بين كلابِكُم شعباً هَرماً.
(يصرخُ ويندفعُ كالمجنونِ نحوَ النساءِ
والأطفالِ والشيوخِ يضربهم بكعبِ بُدقِيَّتِه)
هَيَّا، رَوْحُوا، انقلعوا
(تعلو صيحاتُ النساءِ والأطفالِ - يصلُ
الحاخامُ إلى الرَّجلِ العجوزِ)
ما بكَ لا تتحركُ
(يدفعُهُ وهو يصرخُ)
خذهمْ يا كبشَ الغنمِ
وارحلْ قبلَ اللَّيلِ
أو فالويلُ الويلُ
الرجلُ العجوزُ: (يتوسَّلُ إلى الجنودِ وسطَ دهشةِ المعلِّمةِ
والأطفالِ)

أعطونا بعضاً من ماء
بعضاً من خبزٍ ودواءٍ
فالأطفالُ جِيعٌ،
مرضى، وعطاشٌ
من هَوَلِ الصَّدْمَةِ طاشُوا

الجندي ١ : (يدفعُ الرَّجُلَ العجوزَ فيرميه على
الأرضِ -يضحكُ الجنودُ- يزمجرُ الجنديُّ)
هيا انقلعوا

(تندفعُ المعلِّمةُ نحوَ الرجلِ العجوزِ تسندهُ،
بينما يندفعُ الطِّفْلُ الأوَّلُ نحوَ الجنديِّ)

الطفل ١ : (صارخاً) بل أنتم انقلعوا!!

الأرضُ لنا

والماءُ لنا

المعلمة : الأرضُ لنا

والماءُ لنا

نحنُ العربُ
(وبشكلٍ عفويٍّ يتحوَّلُ التحريضُ إلى
رقصٍ جماعيٍّ عربيٍّ ونشيدٍ هادرٍ)
العرب : الأرضُ لنا
والماءُ لنا،
نحنُ العربُ
تعرفنا الدنيا
يعرفنا الشرقُ، الغربُ
نحنُ الفينيقيُّ الحرُّ^(٢٠)
نحنُ الإنسانُ
عرباً في كلِّ زمانٍ كُنَّا
في كلِّ مكانٍ

(٢٠) الفينيقيُّ: طائرٌ خرافي يموتُ محترقاً، لكنه يعودُ حيّاً من رماده دائماً لأنه كائنٌ متجدد. والعرب مثل طائر الفينيقي متجددون دائماً.

لم تفنَّ أرومتنا أبداً^(٢١)
مذْ كُنَّا قَبْلَ الطُّوفَانِ^(٢٢)
يَعْرِفُنَا الْبَحْرُ الْمَتَوَسِّطُ
تَعْرِفُنَا كُلُّ الشُّطَّانِ
وَطُيُورُ النُّورِ صَحْبَتُنَا
تَلْهُو بِنَعِيمٍ وَأَمَانٍ

المعلمة

: نحنُ العربُ
مِنَّا جُلْجَامَشُ^(٢٣)
مِنَّا سِرْغُونُ^(٢٤)

^(٢١) أرومتنا: أصلنا.

^(٢٢) الطوفان: الماء الذي غمر الأرض. وهو طوفان نوح، فأهلك الكفرة.

^(٢٣) جلجامش: ملك عربي بابلي أسطوري. بحث عن سر الخلود ولم يصل إليه.

^(٢٤) سرغون: ملك عربي بابلي هو سرغون الثاني احتل سامرة اليهود وقضى عليها عام ٧٢١ ق. م.

مَنَا حُمُورَابِي (٢٥)
مَنَا فِرْعَوْنَ (٢٦)
وَنَبُوخَذُ نَصَّرُ
مَنْ يَنْسَاهُ إِذْ شَتَّكُمْ
وَسَبَاكُمْ خَدَمًا، لَخِيَانَتِكُمْ؟!
هَلْ تَنْسَوْنَ نَبُوخَذُ نَصَّرُ
إِذْ أَقْسَمَ أَنْ يُفْنِيَكُمْ؟!
نَحْنُ سَلَالَتُهُ الْحُرَّةُ
شَمْسُ الْأَكْوَانِ
قِرْطَاجُ عَمْرِنَاهَا بِحَضَارَتِنَا (٢٧)

(٢٥) حمورابي: ملك عربي بابلي وضع للناس قوانين وتشريعات

لتنظيم حياتهم.

(٢٦) فرعون: الفراعنة العرب هم من أقاموا حضارة مصر العظيمة.

وفلسطينُ العربيةُ
جَنَّةُ كنعان^(٢٨)

(يَتَكَتَفُ الإسرائيليُّونَ جميعاً وينشدونَ
ويرقصونَ في مواجهةِ العربِ..)
الإسرائيليُّونَ: كنعانُكمُ الفينيقيُّ طردناه
في جوفِ الصَّحْرا رغماً شَرَّدناه
وسلبنا أرضاً أعطاهَا الرَّبُّ
وطناً ليهودا لنْ ننساهُ
طفلة ١ : (تتحمَّسَ وتواجهُ الإسرائيليِّينَ)
مَنْ أَنْتُمْ؟؟
قولوا: مَنْ أَنْتُمْ??

(٢٧) قرطاج: مدينة في تونس. أسَّسها الفينيقيُّونَ (الكنعانيُّونَ) وكانت
دولةً قويةً تحدَّتْ روما وهزمتها. أشهرُ قادتها هو
(هانني بعل).
(٢٨) كنعان: جدُّ القبائل العربية في فلسطين التي كان اسمها أرض
كنعان.

الأطفال : (يجيبون) قَطَّاعُ طريق ولصوص!!

شَرُّ لا يَعْرِفُ رَحْمَةً

أَنْتُمْ لِلْعَالَمِ نَقْمَةٌ

الماءُ لَنَا

والأَرْضُ لَنَا

ولنا مَجْدُ الْإِنْسَانِ

حَاخَام ٣ : لا مَاءَ لَكُمْ فِي نَبْعٍ

أَوْ نَهْرٍ يَسْقِينَا

أَمَّا الْأَرْضُ فَلَا يَمْلِكُهَا شَعْبٌ
إِلَّا نَا (٢٩)

حَاخَام ٤ : أَعْطَانَا إِيَّاهَا يَهُوَهَ

الرَّبُّ الْجَبَّارُ

طَوَّبَهَا أَرْضاً لِيَهُودَا (٣٠)

(٢٩) إِلَّا نَا: غَيْرِنَا، سَوَانَا.

(٣٠) طَوَّبَهَا: بَارَكَهَا.

باركها بالنَّارِ
ولذا صيرنا بقيادته
شعبَ الله المختار.
المعلمة : من أنتم حتى يُعطِيكم
هذا الرَّبُّ أراضينا؟!
من أنتم حتى يُرضيكم يهواكم
ويُطاردنا!!؟

حاخام ٢ : نحنُ الأنقى بين الأممِ
نحنُ الأعلى منذُ القدمِ
المرأةُ العجوز: بل أنتم إبليسُ الباغي
والشرُّ الملعونُ الطَّاغي
هل هذا ربُّ للعدلِ
أم للقتلِ؟!
(وتصرخُ في وجهِ أحدِ الحاخاماتِ بقوةٍ
وجرأةٍ)

هذا ربُّ مجرمٍ حربٍ

الجندي ١ : (يدفعُ المرأةَ بقوةٍ مدافعاً عن الحاخام)

لا يرفعُ أحدٌ صوتهُ

في مملكةِ الرَّبِّ

حتى لا يحصدَهُ سيفٌ

بالقتلِ مُجربٍ

الجندي ٢ : (يطلقُ الرصاصَ على النساءِ والأطفالِ

كالمجنونِ وهو يصرخُ)

مُوتوا

أو سوحُوا في الدنيا،

في الشرقِ وفي الغربِ

الحاخامات : هذا هوَ آخرُ إنذارٍ

منَ شعبِ اللهِ المختارِ

(ينسحبُ الإسرائيليُّونَ جميعاً وهم يطلقونَ

الرصاصَ في الهواءِ فوقَ رؤوسِ العربِ

المعلمة

لإخافتهم وهم يضحكون بوحشية).
: (وهي تندفع خلف الإسرائيليّين تهتف،
والأطفال يرددون خلفها بعد كل هتاف-
بينما الأهالي دهشون ممّا يرون)
لن نرحل إنّنا باقون
وسنبقى فالموت يهون
إنّا لا نخشى صهيون
(ثمّ تتناول المعلمة حجراً وترمي به
الإسرائيليّين، وكذلك يفعل الأطفال)

المشهدُ الرابع

(تندفعُ المرأةُ الثانيةُ نحوَ المعلِّمةِ وتمسكُ
بها وتهزُّها بعنفٍ وهي تصرخُ)

المرأة ٢ : بَسْ، بَسْ

هذا يكفي يا مجنونةُ
كُفِّي عَنْ أَوْلَادِ النَّاسِ

واهتمي بشؤونك
واكفينا شرَّ جنونك،
فالأطفال
ليسوا لعبةً
(ثم تكلم النساء وتحرضهنَّ ضدَّ المعلمة)
يا نسوان
ما تفعله الآنسة المحترمة
قد يقتلُ طفلي
ويطيحُ بطفلك!!
ردوها عنهم،
ردوها.
المعلمة : (تؤنبها) لم أعرفكِ بهذي الحال
قبل الآن
ماذا يجري؟!
نُطرد،

ونشرَّد،

ونُهَان،

ثمَّ تريدينَ لنا أنْ نخرسَ

لا نتكلَّمُ لا نغضبُ.

يا حيفُ

يا حيفُ!!!

المرأة ٢ : لكنْ...

المعلمة : (تُقاطِعُها) لكنْ ماذا؟!

هلْ تخشينَ على الأطفالِ؟!

سأسلِّحُهُم بالعلمِ

وأحوِّلُهُم أشبالاً

لنْ ترجعِ أرضٌ مغتَصَبَةٌ

إنْ لمْ نملكِ أبطالاً

(فجأةً يقطعُ هذا الصِّراعُ أصواتُ أطفالٍ

جوعى وعطشى)

طفلة ٢	: يا أمي عطشانة
طفل ٢	: يا أمي جوعان
طفل ٣	: ضمني يا أمي فأنا من جوعي بردان
طفلة ٣	: وأنا يا أمي مرضانة
طفل ٤	: وأنا يا أمي سخنان
	(بعض الأمهات يسقين ويطعمن أبناءهن.. لكن أمًا تغني لأطفالها. بصوت حزين...)
الأم	: ناموا، ناموا يا أولاد ناموا يا مَهج الأكباد فغداً يأتي صبحٌ حلوٌ وغداً تأتينا الأعياد ناموا، ناموا يا أولاد (لكن الأطفال يرفضون النوم، ويستكرون استسلام أمهاتهم فيغنون..)

الأطفال

: كيف ننام

بين خيام

يملاًها وحلّ وطحالب؟!!

كيف ننام

وسلاح الشرّ هو الغالب؟!!

والجوع برانا برياً

والخوف سبانا سبياً

هياً قوموا لنحارب!!

الرجل العجوز: (وقد أدهشه كلام الأطفال ودعوتهم

للحرب)

يا أولاد...!!

يا أولاد...!!

رؤحوا ناموا

الحرب لها عدّة.

(يعدّد لهم على أصابعه معدّات الحرب)

طَيَّارَاتُ
وَصَوَارِيخُ
وَبَوَارِيدُ.
وَالتَّارِيخُ
مَا أَقْسَاهُ
صَلَبٌ مِنْ صَخْرٍ وَحَدِيدٍ!!
طفل ١ : يا جدِّي..
الرجل العجوز: (بِعَصَبِيَّةٍ) ماذا، ماذا؟!
طفل ١ : اسمعني أرجوك
الرجل العجوز: كلا..
المرأة العجوز: بل تسمعه
نحنُ جميعاً نصغي
وسنسمعه
(للطفل) قلْ يا ولدي!!

الرجل العجوز: (يصرخ) ماذا أسمع؟!
المرأة العجوز: ولماذا تصرخ؟!
المعلمة : (للرجل) ولماذا لا تسمع رأياً من
أحدٍ غيرك؟!
أم إنك تفقد أعصابك،
وتعاني من خوفك؟!
(صمت طويلاً بين الجميع لأنّ كلام
المعلمة حقيقة صريحة - يتكلم الرجل
العجوز كأنه يعترف...)
الرجل العجوز: إني خائف..
بل إني أكثر من خائف...!!
إني مرعوب كالأرنب.
لكن.. ليس على نفسي،
ليس على رُوحِي، أبداً
قلبي ملعَبٌ

تغْدُو فيه الرِّيحُ سيوفاً
(للمعلِّمة) تجعلُ رأسكِ أوْ رأسي
كرةً،
وبنادقُهُمْ تضربُ
تضربُ..
والأطفالُ
كعصافيرٍ بدماها تشخبُ^(٣١)
(بحنان يخاطبُ المعلِّمة وقد اقترَبَ منها
كثيراً...)
يا بنتي
هلْ أبصرتِ دماً لأينكِ،
لأخيكِ
لجاركِ،
يجري

^(٣١) تشخب: تشخبُ الدماء = تسيل وتتدفق.

يجري

لا ينضبُ؟؟!!

المعلمة : مع ذلكَ فلتسمع!!

طفل ١ : يا جدِّي..

في كُتُبِ التَّاريخِ قرأنا

أنَّ الحُرِّيَّةَ لا تُشْرَى

إِلَّا بالحربِ وبالدمِّ

الرجل العجوز: (يثور لسماعه ذاكَ الكلام) لا يَنْقُصُنَا

إِلَّا هَذَا

أَطْفَالٌ يَفْرَحُهُمْ دَمٌ!!

المرأة العجوز: اصبر وافهم

الرجل العجوز: ماذا أسمعُ غيرَ الهمِّ وغيرَ الغمِّ؟؟!!

الطفل ١ : قوموا لِنُقَاتِلْ،

هَيَّا..

قوموا نَلْتَمِّ

المرأة ٢ : (تحضن وحيدها بخوف)

كيف نقوم

ورصاصهم زخ المطر؟!

المعلمة : نتحذاهم رغم الخطر

المرأة ٢ : بل نمنعكم.

(وتدور بين الأطفال تحاول إقناعهم..)

إننا نخشى أن نخسركم

أرجوكم..

أرجوكم..

(تكلم المعلمة) أخشى ما تخشاه الأم

أن تفقد ولداً

طفلة ٣ : تخشون علينا من موت

هو أرحم من هذا الصمت!!

الرجل العجوز: هذا ليس كلام صغار!!

(للمعلمة) هذا من أفكارك أنت،

من أفكار كبار
المعلمة (تعاتبه) وإذا كان كبارُ الناسِ..
الرجل العجوز: (يقاطعها) كلاً.. كلاً
لسنا جبناءً، أو خونة!!
المرأة ١ : يا خجلتتا
كان زمانٌ كنا فيه نسوراً حرةً.
الرجل العجوز: كان لنا حربٌ ومعاركُ
كنا فرساناً وسيوفاً
أهوال الموتِ نعاركُ.
كنا أقسى من صخرة!!
طفلة ٣ : والآنَ زمانُ الآباءِ
الأبطالِ
الأحرارِ
البررة.

رجل ١ : (يَسْئَلُ كَثِيرًا لِأَنَّهُ مَرِيضٌ)
الآن النكبةُ مُرَّةً

المرأة ٣ : والغربةُ أقسى منْ صخرةٍ

رجل ٢ : والنكسةُ شَلَّتْ أَيْدِينَا

صرنا أغناماً مجترَّةً

الأطفال : (وبإشارةٍ من المعلمة، كأنهم يلقون
نشيداً)

في ذي قارٍ

كنا النورَ

وكنا النارَ.

المرأة العجوز: (بحسرةٍ) كنا خيراً موعوداً

النساء : كنا، كنا

الأطفال : لكنْ كنا في حِطِّينْ

حبالاً عربياً مشدوداً

وسيوفاً ورعوداً

النساء : ذلك كان صلاح الدين
 طفل ١ : ولقد صرنا في تشرين
 صفاً عربياً وصموداً
 الرجل العجوز: (يصرخ) ماذا نفعل؟!
 ماذا نفعل؟!
 طفلة ٢ : قوموا لنقاتل
 هيا
 طفلة ٣ : نتحدى جيش يهودا
 الأطفال : وليسقط منا من يسقط
 ليصير البطل شهيدا
 المرأة ٢ : هذا يرعبني أكثر!!
 الرجل العجوز: يا أولاد..
 يا أولاد..
 لن يحمينا من غضبتهم إلا الصمت

المعلمة

: يا جدّي...

حينَ سَكَّتْنا ضِيعَنا، تُهْنا

واستَحَكَمَ فينا الموتُ.

كنا حَقًّا موعودا

صرنا شعباً مطرودا.

المرأة ٣

: (تتهرهم) يكفيننا ما فينا،

يكفي..

من بطشِ الوحشِ الجائرِ

فالأيدي لا تغدو أبداً

قنبلةً وخنابجرُ

طفل ٢

: بل تغدو أقوى من مدفعِ

إن لم يرجفْ خوفاً قلبُ

الرجل العجوز: (للمرأة العجوز) ماذا أسمع؟!

(ثمّ للأطفال) يا أولاد،

أرجوكم روجوا ناموا.
روجوا استمعوا للحكواتي
يحكي عن ليلي والذئب
يحكي عن رقص ولعب
لا يحكي أبداً عن حرب.
أنتم يا أولادي

تحتاجون إلى وردٍ وزنايق!!

طفل ١ : لا حكواتي إلا نحن....
نحكي عن خالد^(٣٢) أو طارق^(٣٣)

طفل ٢ : عن نسرٍ يأتي صاروخاً
من عالي الجبل الشاهق

طفلة ١ : نحن الصوّت الأقوى القادم
رايات حمراً وبيارق

^(٣٢) خالد بن الوليد بطل معركة اليرموك.

^(٣٣) طارق بن زياد فاتح الأندلس

الأطفال

: (بصوت هادر قوي)

سنصوغُ حكايتنا حجراً

وفؤوساً ومطارق.

(الرجلُ العجوزُ يتأملُ الأطفالَ ثمَّ ينسحبُ

بعيداً - الأمّهاتُ حائراتٌ لا يعرفنَ ماذا

يفعلنَ أمامَ أولادهنَّ - تتقدّمُ المرأةُ العجوزُ

منَ المعلمة..)

المرأةُ العجوزُ: تعلّمك رائعٌ

وحماسك رائعٌ..

(بعدَ صمتٍ قصيرٍ)

وجنونك رائعٌ!!

المعلمة : (تبتسم) شكراً!!!

**

المشهد الخامس

(بعض الرّجال المسنّين في أثناء الصّمت
بدأوا يتذكّرون أيّام كانوا صيّادين يركبون
البحار—ولهذا نسمع همهماتٍ خافتةً
لغناءٍ غير مفهوم في البداية، ثمّ يتوضّح
جيداً).

الرجال : كان البحرُ الرّحبُ الواسعُ

حِضْنًا لِمَرَاكِبِنَا
وَسَمَاءُ الْحَرِيَّةِ كَانَتْ
عِشًّا لِنَوَارِسِنَا

(انتعشت النساء بهذا الغناء فتذكرن أيام
العمل في بساتين البرتقال والليمون -
يغنين بفرح ويرقصن).

النساء : وشواطئنا بأغانيها

كانت تصدح
والبيارات المزدانة^(٣٤)
بالليمون الأصفر تفرح.

الرجال : أمّا الآن

فإنّا نمشي كالخرافان
نحو المذبح

(انتهى الغناء والرقص وقد سيطر الحزن

(٣٤) البيارات: بساتين البرتقال والليمون في فلسطين.

على الجميع)
طفل ١ : يا خجل الأبناء
 من أهل ضعفاء
 يغزوهم فنران
 وأفراع رقطاع^(٣٥)
 الرجل العجوز: كل الدنيا صف واحد
 حتى الأمم المتحدة
 والشر هو الصوت السائد
 يمشي بطاشاً كالمردة
 المرأة العجوز: أما نحن فنمشي
 نمشي في البرية
 نمشي بظهور محنية
طفلة ٢ : بل نمشي برؤوس نسور

^(٣٥) رقطاع: منقطة، وهي أخطر أنواع الأفاعي.

نتحدّى بطش الهمجية
هيا يا أمي، يا خالي
هيا يا عمي، يا جدي
من غفوتكم هبوا
هيا، قوموا نحو الحرية
(يدور الأطفال بين أهاليهم صارخين فيهم:
قوموا.. قوموا..)
المعلمة : (بفرح وسعادة)
ما أعظمكم يا أولاد
ما أروعكم...
(بحماس) أشكركم!!!
أشكركم!!!
المرأة العجوز: (للمعلمة) صوتك أقوى من كل
الأصوات
صوتك في الأولاد نشيد حياة

(بحماس) صوتك يا بنتي أخرجنا
من صمت الأموات
(وتصرخ المرأة العجوز بالناس جميعاً)
قوموا نحو الحرية
(يتحرك الناس، تتقدمهم المرأة العجوز
والمعلمة وبعض الأطفال نحو الجهة التي
جاؤوا منها أول مرة وهم يهتفون)
الجميع : قوموا نحو الحرية

المشهد السادس

(في اللحظة التي يتحمّس فيها العربُ
الفلستينيّون للعودة من حيث أتوا، يظهر
الإسرائيليّون والحاخامات وهم يصوّبون
بنادقهم إلى صدور العرب..)

حاخام ١ : ما هذا...؟!

ثورة...؟!

يا يهوہ!!
هلْ أَلَمْ أَمْ أَنَا فِي يَقْظَةٍ؟!
عربٌ جبناءُ رعيانُ،
ويثُورون؟!

حَاخَام ٢ : هذي سخريةُ الأقدارِ

يا يهوہ...
أَحْرِقْهُمْ بِلَهيبِ النَّارِ
دمّرهم..
دمّرهم...

الجندي ١ : (بحقدٍ) نحنُ سنحرقُهم،

بِالنَّارِ وَبِالْقَطْرَانِ.
(للعربِ) ونحذركُم يا نسلَ الشَّيْطَانِ،
لَمْ يَرْفَعْ شَعْبُ رَأْسَهُ
فِي وَجْهِ يَهُودَا مَرَّةً
إِلَّا وَقْتَلْنَاهُ.

لَمْ يَفْخَرْ شَعْبٌ بِأَصُولِهِ
إِلَّا ذَوْبِنَاهُ كَمَلَحٍ وَسَحْقَنَاهُ.
(يَصْرُخُ وَيَطْلُقُ بَضْعَ رِصَاصَاتٍ فِي
الْهَوَاءِ)
هَيَّا انبَطَحُوا
(الْجُنُودُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ يَطْلُقُونَ الرِّصَاصَ
فَوْقَ رُؤُوسِ الْعَرَبِ - يَتَقَدَّمُ الْجَنْدِيُّ الثَّالِثُ
مِنْ أَحَدِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَيَشْدَهُ مِنْ شَعْرِهِ
وَيَكَلِّمُهُ)

الجندي ٣

: أَسْمِعْ أَنْفَاسَكَ تَشْخُرُ،
هَلْ تَشْكُو أَمْ تَتَذَمَّرُ!!؟
هَلْ تَشْكُو مِنْ خَوْفٍ
أَمْ مِنْ مَلَلٍ
أَمْ مِنْ أَلَمٍ!!؟
(وَيَدْفَعُ بِرَأْسِ الْعَرَبِيِّ إِلَى الْأَرْضِ بِقُوَّةٍ
وَيَصْرُخُ وَهُوَ يَدُورُ بَيْنَ النَّاسِ الْمَبْطُوحِينَ
عَلَى الْأَرْضِ).

لا يَتَنَفَّسُ أَحَدٌ مِنْكُمْ
 أَوْ نَذْبَحُكُمْ ذَبْحَ الْغَنَمِ
 حَتَّىٰ لَوْ دَوَّتْ أَصْوَاتُ
 وَاحْتَجَّتْ كُلُّ الْأُمَمِ
 (ويخبط برجله على ظهر العربي، فيصرخُ
 هذا من الألم)
 : آآخ... **العربي**
الجندي ٣ : (يمسكُ برأسِ العربيِّ، ويكلِّمُ أحدَ رفاقه
 الجنودِ)
 هذا يتحدّاني!!
 (لرفيقه) أترى يا موسى؟!
 أنظر، هذا العربيُّ المغرورُ
 يتحدّاني
 يتحدّى الجنديَّ الصَّهْيونيَّ
 (يضحكُ وهو يحدّقُ في عينيَّ العربيِّ)

بحقْدِ

عينُكَ يَقْطُرُ مِنْهَا حَقْدٌ

يُطْفَحُ مِنْهَا شَرٌّ

أَحْسَبْتُ بَأَنَّا لَا نَعْرِفُ

مَا تَفْعَلُ فِي السَّرِّ؟؟!

(يُخْرِجُ مِنْ جَعْبَةٍ فِي ظَهْرِهِ آلَةً تُضِيءُ مِثْلَ

كَاشِفَةِ الْغَامِ، ثُمَّ يَلْكَزُهَا بِهَا)

أَنْظِرْ.. أَنْظِرْ

هَذِي الْكَاشِفَةُ الْيَدَوِيَّةُ

فَضَحْتُ سِرَّكَ

(يَتَبَاهَى وَيَتَفَاخَرُ أَمَامَ الْعَرَبِ جَمِيعاً)

فِي: يُو.. إِس.. آ

الجنود : فِي يُو.. إِس.. آ

الجندي ٣ : فِي أَمْرِيكََا

الجنود : فِي أَمْرِيكََا

الجندي ٣ : (العربي) صُنِعَتْ ضِدَّكَ
حَتَّى نَعْرِفَ مَا تَخْفِيهِ
(وهو يَخِيطُ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِ الْعَرَبِيِّ بِقُوَّةِ)
هَنَا، فِي صَدْرِكَ
بَلْ حَتَّى نَكْسِرَ رَأْسَكَ!!
(وَيَدْفَعُهُ بِقُوَّةٍ فَيَرْتَمِي الْعَرَبِيُّ عَلَى الْأَرْضِ
مَرْعُوبًا)

**

المشهد السابع

(كَانَتْ الْمُعَلِّمَةُ قَدْ تَحَفَّزَتْ كَثِيرًا وَقَدْ
أَمْسَكَتْ بِحَجَرٍ، لَكِنَّ الْجُنْدِيَّ الْأَوَّلَ
أَبْصَرَهَا، فَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَجَرَّهَا بِقُوَّةٍ إِلَى
وَسْطِ الْمَكَانِ وَهُوَ يُزْمَجِرُ...).

الجندي ١ : كَفُّكَ فِي وَجْهِهِ مَشْدُودَةٌ

أَهِيَ مُسَدَّسٌ
أَمْ بَارُودَةٌ؟!
قُولِي، اعْتَرِفِي
مُذِيهَا لِأَرَاهَا ، هَيَّا
خَلِيهَا مَفْرُودَةً..

(تَفَرَّدُ الْمُعَلِّمَةُ كَفَّهَا بِصُعُوبَةٍ لِأَنَّ الْجُنْدِيَّ
يَضْغَطُ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ - يَسْقُطُ الْحَجَرُ وَتَسْتَقِيمُ
سَبَابَةُ كَفِّهَا - وَفَجْأَةً يُمَسِّكُ الْجُنْدِيُّ
بِالإِصْبَعِ وَيُحَاوِلُ كَسْرَهَا، فَتَنَالُمُ الْمُعَلِّمَةُ،
ثُمَّ تَصْرُخُ - يُحَاوِلُ بَعْضُ الْأَطْفَالِ
النَّهْوضَ لِلدِّفَاعِ عَنْهَا فَيَصْرُخُ الْجُنُودُ...).

الجندي ٤ : لا يَتَحَرَّكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ!!

(وَيُطْلِقُ الْجُنُودُ الرِّصَاصَ غَزِيرًا)

الجندي ١ : (لِلْمُعَلِّمَةِ) هَذِي الإِصْبَعُ بَارُودَةٌ

الحاخامات : إكسِرْهَا، إكسِرْهَا

الجندي ١ : سَاعِدْنِي يَا يَهُوَهَ

(وَيَبْدَأُ بِالضَّغْطِ عَلَى إصْبَعِ الْمَعْلَمَةِ —
وفجأةً تقومُ المعلمةُ بصفعِ الجنديِّ بيدها
الأخرى فيتأرجحُ هذا خائفاً مرعوباً —)

المعلمة

: هذا اليَهُوَّة

قاس، ظالم

هذا اليَهُوَّة

رَبُّ غاشِمٍ

سَوْفَ أَقُولُ لِكُلِّ الْبَشَرِ

إِنَّ يَهُودًا تَعْبُدُ رَبًّا غَيْرَ مُسَالِمٍ

حاخام ١ : (يَضِحُّ بِالضَّحْكِ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ زُمَلَاؤُهُ)

صَوْتُكَ لَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ

مِنْ حُكَّامِ الْعَالَمِ.

وَجْهُكَ لَنْ يَعْرِفَهُ أَحَدٌ

مِنْ أَسْيَادِ الْعَالَمِ!!

هَلْ تَدْرِينَ لِمَاذَا؟!...!!

(يَتَفَاخَرُ) نَحْنُ الْعَالَمُ!!

الإسرائيليون: (بِقُوَّةِ) نَحْنُ الْعَالَمُ!!

حَاخَام ١ : إِنْ نَرُغِبُ فِي السَّلَامِ نَسَالِمُ
أَوْ نَرُغِبُ فِي الْحَرْبِ نَحَارِبُ
إِنَّ يَهُودَا صَارَتْ قَدْرًا مَرصُودًا
وَتَعَالِيمَ الْيَهُودِ
صَارَتْ حَقًّا وَوُجُودًا

المعلمة : (فِي وَجْهِ الْحَاخَامِ)

مَا أَفْسَى يَهُوَ أَكُمُ
مَمْلُوءًا أَحْقَادًا
مَحْشُورًا دِينَامِيَةً
مَحْقُونًا بَارُودًا
هَذَا رَبُّ لَا يَعْبُدُهُ
إِلَّا مَنْ كَانَ شَرِيدًا

والتَّارِيخُ
يَشْهَدُ أَنَّكُمْ مَا زِلْتُمْ
قُطَّاعَ طَرِيقٍ،
وَلُصُوصًا،
وَعَصَابَاتٍ
وَبَوَارِيدًا!!

حَاخَام ٢

: أَتَسْبِيْن يَهُودًا...؟!

سَوْفَ أَقْصُ يَدَيْكَ
وَأَقْلَعُ هَذِي الْعَيْنَ السَّوْدَا
(وَيَصْفَعُهَا فَجْأَةً عَلَى خَدِّهَا، فَتَتَأَرْجَحُ وَتَكَادُ
أَنْ تَسْقُطَ، لَكِنَّ الْأَطْفَالَ يُمَسْكُونَ بِهَا —
يَصْرُخُ الْحَاخَامُ الثَّانِي)
هَيَّا انبَطِّحُوا يَا أَعْدَاءَ السَّامِيَّةِ

* *

المشهد الثامن

(يَرْقُصُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ وَيُنْشِدُونَ
بِأَسْلُوبٍ مُتَوَحِّشٍ)

الْإِسْرَائِيلِيُّونَ: يَا أَعْدَاءَ السَّامِيَّةِ^(٣٦).

^(٣٦) السَّامِيَّة: نسبة إلى سام بن نوح، إذ يعتقد اليهود أنهم أبنائهم وحدهم. وكل من يعاديهم يتهمونه بأنه ضد السَّامِيَّة، والحقيقة أن العرب هم الساميون.

أَعْدَاءَ الْعِبْرَانِيَّةِ^(٣٧)
لَنْ نَنْسَى دَوْلَةَ بَابِلَ
وَالسَّبْيِ الْمَلْعُونِ الْقَاتِلِ
فَلَقَدْ جِئْنَا حَتَّى نَنَارَ
مِنْكُمْ أَنْتُمْ
يَا أَحْفَادَ نَبُوخذ نصرَ
بَلْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ،
— مِنْ أُمَّتِكُمْ —
نَسْلٌ يَتَعَاقَبُ
أَوْ طِفْلٌ يَكْبَرُ
فَلَنَّا نَارٌ مِنْذُ الْقَدَمِ
خَبَّانَاهُ سِلَاحًا يَنْمُو
فِي حَقْدٍ مُرٍّ

^(٣٧) العبرانية: نسبة إلى القبائل التي عبرت نهر الأردن — أو غيره
— مع النبي إبراهيم.

فِي لُؤْمٍ،
لَنْ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْعَالَمِ
إِلَّا نَحْنُ
وَيَفْنَى النَّاسُ
وَكُلُّ الْأُمَمِ
حَاخَامٌ : سَنَطَارِدُكُمْ فِي الْأَحْلَامِ
وَفِي الْيَقِظَةِ
لَنْ نَرْحَمَكُمْ فَلَنَا أَفْنَدَةُ فَظَّةٌ
تَكْرَهُكُمْ
تَكْرَهُ تَارِيخًا...
أَرْغَمْنَا أَنْ نَخْدِمَكُمْ
وَلِهَذَا سَنَكُونُ أَفَاعِي
أَنَّى كُنْتُمْ نَلْدَغُكُمْ!!

(يَخْرُجُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ وَهُمْ يُطْلَقُونَ
الرِّصَاصَ وَيَهْتَفُونَ مُرْدِّدِينَ الْجُمْلَةَ

الْأَخِيرَةَ...).

**

المشهد التاسع

(بُبطِ يَنْهَضُ الْعَرَبُ الْفِلَسْطِينِيُّونَ بِأَسَى،
وَتَبْدَأُ هَمَمَةٌ مِنَ الْأَطْفَالِ وَالْمُعَلِّمَةِ، ثُمَّ
تَتَوَضَّحُ فَإِذَا هِيَ نَشِيدُ حِمَاسِيٍّ.)

الأطفال : يا نَوْرَسَ بَحْرِ الْأَحْزَانِ^(٣٨)

^(٣٨) النورس: طائر بحري أبيض جميل، يعشق المياه كثيراً.

اَرْفَعُ رَأْسَكَ
 اَنْهَضْ وَاَعْبُرْ بَحْرَ النَّارِ
 اِفْرِدْ جُنْحَكَ
 وَاَصْرَخْ بِالرَّيْحِ لِتَمْنَعَهَا
 اَنْ تَكْسِرَ مِنْقَارَكَ
 يَا نَوْرَسُ رَفْرِفْ لَا تَتَيَّأَسْ
 وَاَطْرُدْ جِلَادَكَ
 (بَعْضُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَرُدُّونَ عَلَى
 الْأَطْفَالِ وَالْمُعَلِّمَةِ)
 آباءُ وَأُمَّهَاتُ: (يَبْيَأْسُ) النَّوْرَسُ مَنُتَوِّفُ الرِّيشِ
 وَالشَّطُّ يُصَارِعُهُ الْمَوْجُ
 وَالْأَرْضُ يَبْيَأْسُ،
 لَا مَاءً، لَا حَقْلٌ أَخْضَرُ، لَا مَرْجُ
 وَسَفِينَتُنَا لَنْ تَعْبُرَ بَحْرَ الْأَحْزَانِ
 حَتَّى تَغْرَقَ.

المعلمة : لِنَحَاوِلْ،
هَيَّا، لِنَحَاوِلْ.

الرجل العجوز: (بِيَأْسٍ وَمَلَلٍ وَخَوْفٍ)
لَا جَدْوَى مِمَّا سَنَحَاوِلْ.
لَا أَحَدٌ مِنَّا سَيُقَاتِلْ.
(يَسْأَلُ النَّاسَ)
مَنْ مِنَّا سَوْفَ يُقَاتِلْ
وَهُوَ مَرِيضٌ
أَوْ جُوْعَانٌ؟!
أَوْ مَطْرُودٌ فِي الْبَرِّيَّةِ
وَالْخَوْفُ يُزَنِّرُهُ أَفْعَى
وَيَدْمَرُهُ بِالْوَحْشِيَّةِ؟!
رجل ٢ : (بِضَعْفٍ) أَوْ لَمْ نَسْمَعْ أَنَّ الرَّبَّ
يُبَارِكُ فِيهِمْ

رُوحَ الْقَاتِلِ؟!
 وَإِذْنِ قَوْلُوا : كَيْفَ نُقَاتِلُ؟!
 الرجلُ العجوزُ: النورسُ ما عادَ الطائرُ
 ما عادَ له بحرٌ كي يلعبَ.
 والجُنحُ المكسورُ تخشبُ
 والمشوارُ بعيدٌ جدًّا،
 صرنا في مشيئتنا نتعبُ
 ١ طفل : بل صرنا نسكتُ من ذلِّ
 صرنا نحزنُ، لا نغضبُ...!!
 من سيقَاتِلُ؟!
 الأطفال : (بحماسٍ) نحنُ نقاتلُ!!
 المرأة ٢ : (بخوفٍ) أنتمُ أطفالُ أيتامٍ ومساكينُ
 شرِّدكمُ شرًّا سافِلُ.
 طفلة ٣ : (بإصرارٍ) بل سنقاتلُ!!

الرجل العجوز: (يُقْنَعُ الأطفال) وبماذا سَوْفَ نَقَاتِلُ؟!

لَيْسَ لَدَيْنَا طَيَّارَاتُ

وَمَدَافِعُ أَمْرِيكِيَّةَ.

لَيْسَ لَدَيْنَا دَبَابَاتُ

وَصَوَارِيخُ نَوَوِيَّةَ

(بِاسْتِسْلَامٍ) لَيْسَ لَدَيْنَا غَيْرُ اللَّهِ

وَأَيَادِينَا الْمَشْلُولَةُ

(يَصْرُخُ) ماذا نَفْعَلُ بِالطُّغْيَانِ؟!

هَيَّا، قُولُوا:

ماذا نَفْعَلُ بِالطُّغْيَانِ؟!

المعلمة : (بِتَقَّةٍ) نَتَحَدَّاهُمْ

بِالْأَظْفَارِ

بِالْأَسْنَانِ.

يا أَهْلِي، يا أَحْبَابِي

قُومُوا نَتَحَدَّى الْعُدْوَانَ
المرأة ٢ : (تَصْرُخُ) لَنْ نَتَمَكَّنَّ!!
لَنْ نَتَمَكَّنَّ!!
(تَقْتَرِبُ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ مِنَ الْمُعَلِّمَةِ وَتَسْأَلُهَا
بِحَنَانٍ)
المرأة العجوز: يا بنتي....
هَلْ نَتَمَكَّنُ...!!؟

**

المشهدُ العاشر

(يَبْدَأُ الْأَطْفَالُ بِأَدَاءِ غِنَاءٍ يُذَكِّرُ الْأَهْلَ
بِالتَّارِيخِ، وَتَتَدَغَّمُ الْمُعَلِّمَةُ مَعَهُمْ بِحِمَاسٍ)..

الأطفال : أَوَلَمْ نَقْرَأْ فِي الْقُرْآنِ
عَنْ جَيْشِ الْحَبَشِيِّ الطَّاعِي
عَنْ أَبْرَهَةَ الْمَلِكِ الْبَاغِي

كَيْفَ أَتَانَا بِالْأَفْيَالِ
كِي يَهْدُمَ لِلْعَرَبِ الْكَعْبَةَ
فِي مَعْرَكَةٍ تُشَبِّهُ لُغَبَةً!!؟
حَسِبَ الْبَاغِي أَنَّ الْكَعْبَةَ
لَيْسَتْ صَعْبَةً!!

فَإِذَا الطَّيْرُ أَبَابِيلُ
وَإِذَا الْحَجَرُ السَّجِيلُ
يَنْقَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَى
فَإِذَا هُوَ نَارٌ وَسَيُولُ
وَإِذَا هُمْ شَرٌّ مَقْتُولُ

الرجل العجوز: (وَمَعَهُ بَعْضُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ يَرُدُّونَ
عَلَى الْأَطْفَالِ)

تِلْكَ الطَّيْرُ طُيُورُ اللَّهِ
وَالْكَعْبَةُ بَيْتُ اللَّهِ
يَحْمِيهِ وَيَحْرُسُهُ اللَّهُ

بِسِلَاحٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
 مَهْمَا هَاجَ الظُّلْمُ وَمَاجَا (٣٩)
 : (يَرُدُّونَ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّاسِ بِالْحَقَائِقِ
 التَّارِيخِيَّةِ)
 وَالْقُدُسُ...
 أَوْ لَيْسَتْ مَسْرَى
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَمِعْرَاجَا؟!
 أَوْ لَيْسَتْ لِأَخِيهِ يَسُوعَ مَهْدَاً،
 نُورًا لِلْعَالَمِ وَهَاجَا؟!
 إِنَّ الْحَقَّ إِذَا مَا جَلَجَلَ
 أَمْوَاجٌ تَدْفَعُ أَمْوَاجَا
 أَفْوَاجٌ تَرْحَمُ أَفْوَاجَا
 (هَذَا التَّارِيخُ أَذْهَشَ الْجَمِيعَ، وَلِذَا صَارَ
 الْغِنَاءُ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا وَقُوَّةً — يَتَابِعُ الْأَطْفَالُ

(٣٩) مَاجَا: أَصْلُهَا مَاجَ، كَأَنَّ الظُّلْمَ أَمْوَاجٌ بَحْرٌ ثَائِرَةٌ.

بِتَقَّةٍ)...

نَحْنُ الطَّيْرُ أَبَابِيلُ
وَحِجَارَتُنَا سَجِيلُ
نَرْمِيهِمْ بِقَنَابِلِ حَقٍّ
فَإِذَا هُمْ عَصْفٌ مَأْكُولُ،
وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ
بِشَهَادَتِنَا،
وَالْإِنْجِيلِ.

هَيَّا، هُبُّوْا مِنْ غَفْلَتِكُمْ،
فَلَقَدْ أَنْ يَرُوحَ اللَّيْلُ!!
(انتهى الغناء وسيطرت على الجميع
لحظات صمتٍ ودهشة)

المرأة ١ : يا أولاد...

كَيْفَ يَصِيرُ اللَّيْلُ صَبَاحُ
وَأَيَّادِينَا دُونَ سِلَاحٍ!؟

وَالْحَرْبُ مَدَافِعُ لَا حَجْرُ

وَيَهُودًا حَقْدًا يَسْتَعْرِ؟!

طفل ١ : السَّيْفُ الْأَبْيَضُ مِدْفَعُ

طفلة ١ : وَالْخِنْجَرُ حَقٌّ يَسْطَعُ

طفل ٢ : وَعَصَاةُ الرَّاعِي صَارُوخُ

طفلة ٢ : وَإِرَادَتُنَا كَفٌّ تَصْفَعُ

طفل ٣ : وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ قُنْبُلَةٌ

في وَجْهِ الْأَشْرَارِ سَتَفَقَعُ

الرجل العجوز: هَذِي أَوْهَامٌ وَظُنُونُ

هَذِي أَحْلَامٌ لَا تَنْفَعُ..

رُوحُوا، رُوحُوا

قَدْ أَنْهَكْنَا الْمَلْلُ، الضَّجَرُ

ضَاعَ الْحَقُّ وَضَاعَ الْعُمُرُ،

وَالْمَجْنُونُ إِذَا صَدَّقَكُمْ

المعلمة

لَا بُدَّ إِذْنُ مُنْتَحِرُ

: اِسْمَعْنِي يَا جَدِّي

وَاحْذَرْ فَوْزَةَ اِحْسَاسِي

(لِلنَّاسِ) وَلَيْسَمَعْنِي أَحْبَابِي،

أَهْلِي، نَاسِي.

وَلَيْسَمَعْنِي الْبَحْرُ،

الشَّجَرُ، الطَّيْرُ،

وَالْقَدَرُ.

(يَعْلُو صَوْتُهَا) إِنَّ نَوْمِنَ بِسِلَاحِ الْحَجَرِ

يَحْمِينَا اللَّهُ وَنَنْتَصِرُ

وَالْخَائِفُ يَا أَحْبَابِي

دَوْمًا مُنْكَسِرُ.

سَنُقَاتِلُ حَتَّى نُسْتَشْهَدَ

وَالْبَغْيُ الظَّالِمُ يَنْدَحِرُ...

(بِقُوَّةٍ) هَلْ سَنَقَاتِلُ...)

المرأة العجوز: (وَقَدْ دَبَّ فِيهَا الْحَمَاسُ، تَصْرَخُ...).

سَنَقَاتِلُهُمْ.....

سَنَقَاتِلُهُمْ.....

(وَتَتَحَمَّسُ الْأُمّهَاتُ، ثُمَّ الرَّجُلُ الْعُجُوزُ
وَيَهْتَفُونَ جَمِيعاً)

الجميع : سَنَقَاتِلُهُمْ يَا أَوْلَادُ

لَتَعُودَ إِلَيْنَا الْأَعْيَادُ

فَالْحَقُّ الْعَرَبِيُّ مَسِيحٌ

مَصْلُوبٌ فَوْقَ الْأَعْوَادِ.

المعلمة : (تَحْمَسُهُمْ) قُومُوا مِئْذَنَةً،

نَاقُوساً،

إِنَّ الْفَجَرَ عَلَى الْأَبْوَابِ

حَيَّ عَلَى حَرْبٍ وَجِهَادٍ

حَيَّ عَلَى حَرْبٍ وَجِهَادٍ

النساء
:(للأطفال) هَيَّا هَيَّا يَا أَوْلَادُ
هَيَّا يَا مُهَجَّ الْأَكْبَادِ
سَنَقَاتِلُهُمْ
كِي نُشْعِلَ شَمْعَ الْمِيلَادِ

المشهد الحادي عشر

(يَدْخُلُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ فَيَفْجَأُونَ بِالْحَمَاسِ
وَالْعَزِيمَةِ وَتَبْدَأُ مَعْرَكَةٌ بِالْحِجَارَةِ يُنْشِدُ
فِيهَا الْعَرَبُ نَشِيدَ الْحِجَارَةِ)

الجميع : شُدُّوا حَرْبًا بِالْحَجَرِ

وَاصْلُوهُمْ نَاراً مِنْ سَقَرِ (٤٠)
وَأَرْمُوهُمْ حِمَماً تُحْرِقُهُمْ
وَتَسْتَنْتَهُمْ أَبَدَ الدَّهْرِ

يَا حَجَرًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ
دَمَّرَهُمُ وَالْبَاغِي أَظْلَمُ
وَالطَّاعِي لَا بُدَّ سَيَعْلَمُ
أَنَا مِنْ شَعْبٍ مُنْتَصِرٍ
شُدُّوْهَا حَرْبًا بِالْحَجَرِ

شُدُّوْهَا عَزْماً وَإِرَادَةً
إِنَّ الْحَرْبَ طَرِيقُ شَهَادَةٍ
وَجِهَادِ الْأَحْرَارِ عِبَادَةٍ

(٤٠) سَقَر: اسم من أسماء جهنم، ومعنى اصلوهم: أحرقوهم.

كَيْ لَا يَبْقَى شَرُّ عَاتٍ بَيْنَ الْبَشَرِ
شُدُّهَا حَرْبًا بِالْحَجَرِ

(وَفَجَاءَ يُشْهِرُ الْأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ سَيْوِفًا كَانَتْ
مُحِبَّةً فِي سِلَالِ الطَّعَامِ).
هَذَا سَيْفٌ نَبُوخذُ نَصْرٌ
بِالْحَقِّ الْعَرَبِيِّ مُزَنَرٌ
يَحْلِفُ أَنَّ الْقُدْسَ سَيَرْجِعُ
فِي عُرْسِ الزَّيْتُونِ الْأَخْضَرِ
وَيَكْبُرُ بِالصَّوْتِ الدَّائِي
إِنَّ يَهُودًا سَوْفَ تُدَمَّرُ
لِيَبِينَنَّ الْخَيْرُ مِنَ الشَّرِّ
إِنَّا مِنْ شَعْبٍ مُنْتَصِرٍ
شُدُّهَا حَرْبًا بِالْحَجَرِ

النهاية

الفهرس:

٨.....	زرياب
١٠.....	الإهداء
١٢.....	* الشخصيات
١٤.....	* إضاءات
١٦.....	المشهد الأول
٢٣.....	المشهد الثاني
٣٣.....	المشهد الثالث
٤٥.....	المشهد الرابع
٥٣.....	المشهد الخامس
٦٠.....	المشهد السادس
٦٤.....	المشهد السابع

٦٨.....المشهد الثامن

٧٨.....المشهد التاسع

٩٤.....* الطيرُ الأبَّابيل

٩٦.....الإهداء

٩٨.....تقديم

١٠٢.....* الشخصيات

١٠٤.....المشهدُ الأوَّل

١١٩.....المشهدُ الثَّاني

١٢٢.....المشهدُ الثَّالث

١٣٦.....المشهدُ الرَّابِع

١٥٢.....المشهدُ الخَامِس

١٥٧.....المشهدُ السَّادِس

١٦٣.....المشهدُ السَّابِع

١٦٩.....المشهدُ الثَّامِن

١٧٣.....المشهدُ التَّاسِع

١٧٩.....المشهدُ العَاشِر

١٨٧.....المشهد الحادي عشر

١٩١.....الفهرس:

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

شموس لا تغيب: زرياب ؛ الطير الأبايل: مسرحيتان
للأطفال/ تأليف محمد بري العواني- دمشق:
اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١ -
١٨٠ ص؛ ١٧ سم.

١- ٨١٢.٠٤٣ ع و ا ز -٢

العنوان

٣- العواني

مكتبة الأسد

ع- ٢٠٠١/٩/١٧٩٣

□□